



يا قلب لا تغفر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

يا قلب لا تغفر ..

أبـداً لن أغفـــر أبــداً

جرحاً فى ثنايا وجـدانى

أبــداً لـن أرحم أبـــداً

من حطم قلـبى وكيـانى

أبـداً لـن أعفو أبـــداً

عن قلب يهوى أحــزانى

(نبيـل)

١ ـ الانتقام ..

« أنا القاتل يا سيدى .. أنا أتحمـل المسئولية الكاملة عن هذا الحادث غير المقصود » .

رفعت (هويدا) عينيها تتأمـل صاحب الـكلمات فى بغضـاء يعجز القلم عن وصفها ، وشعرت فى أعماقها بكراهية لم تشعر بمثلها من قبل ..

كانت تعلم أن الرجل كاذب فى اعترافه ، وكانت تعلم سبب كذبه ..

مال نحوها وكيل النيابة ، وسألها فى صرامة لا تخلو من بعض الشفقة :

ـ ما رأيك يا آنسة (هويدا) ؟

لم تجب (هويدا) سؤاله على الفور ، بل ظلت بضع لحظات تتأمل الرجـل ، الذى أدلى باعترافه الكاذب عن الحادث ..

كان رجلاً فى أوائل الخمسينات من عمره ، وجدت التجاعيد طريقها إلى وجهه مبكراً ، فمنحته مظهراً يفوق

عمره بعشر سنوات على الأقل ، تبدو رقة حاله واضحة على الرغم من نظافة الحُلَّة التى يرتديها ..

عادت بذاكرتها بعيداً ..

إلى يوم الحادث ..

لقد كانت تعيش فى منزلها الصغير مع شقيقها الوحيد (محمد) ، بعد أن قضى والداهما نحبهما فى حادث أليم .

وكان (محمد) يصغرها بعشر سنوات كاملة ، كانت هى فى الحادية والعشرين من عمرها ، وهو فى الحادية عشرة ، أو أقل قليلاً ...

تذكرت كيف مات والداها منذ عامين ، وتركا لها ميراثاً ضئيلاً ، ومسئولية كبيرة ..

وجدت نفسها المسئولة الوحيدة عن شقيقها الوحيد ، وهى لم تتجاوز التاسعة عشرة بعد ، وكان عليها أن تتحمل هذه المسئولية كاملة ..

توقفت عن متابعة دراستها فى كلية العلوم توفيراً للنفقات ، وساعدها حسن الحظ على العثور على عمل بسيط فى إحدى دور الأزياء ، عاونها على الإنفاق على أخيها ورعايته ..

أصبحت له بمثابة الأم والأب والشقيقة ، وأصبح هو لها كل شىء ...

كانت ابتسامته البلسم الشافى لآلامها ، ودموعه الخنجر الذى يمزق أفراحها ..

حتى كان ذلك اليوم المشئوم ..

كان (محمد) شديد المرح فى ذلك اليوم ، وكأن القدر قد أعماه عن المصير الذى ينتظره ، وأصرَّ على أن يتولى هو إحضار طعام الإفطار ، متعللاً بأنه قد أصبح رجل البيت ، وأسعدها قوله ، فتركته يقوم بالعمل ، ووقفت فى شرفة منزلها تراقبه فى سعادة وهو يحمل الطبق الأحمر الكبير ، ويعبر الطريق نحو بائع الفول ..

ارتجف قلبها وهى تتذكر كيف ظهرت تلك السيارة الفاخرة المندفعة عند ناصية الشارع ، وكيف اندفع سائقها فى سرعة تنم عن تهوُّره واستهتاره ، نحو شقيقها الصغير الذى تسمَّر فى مكانه ، وقد تولاه الفزع ..

عاد المشهد بأكمله إلى ذهنها ..

السيارة الفاخرة التى تندفع فى تهوُّر ..

صراخ المارة ..

بوق السيارة المرتفع بلا انقطاع ..

الرعب المرتسم على وجه شقيقها ..

ثم الاصطدام ...

كادت تصرخ حينما وصلت بذاكرتها إلى هذه النقطة ..

كادت تطلق نفس الصرخة المملوءة بالرعب والجزع واللوعة والاستنكار ..

تلك الصرخة التى أطلقتها ، وهى ترى شقيقها يطير فى الهواء بجسده الضئيل ، بعد أن ارتطمت به السيارة ..

إنها لا تذكر كيف غادرت مكانها أمام الشرفة ، واندفعت حافية القدمين إلى حيث رقد جسد (محمد) الصغير مضرجاً بدمائه ..

كانت كفه الصغيرة ما زالت تقبض على الطبق الأحمر الكبير ، وكأنه يؤكد فى آخر لحظاته أنه المسئول عن إحضار الطعام ..

اكتشفت فى تلك اللحظة أنها فقدت الشخص الوحيد الباقى لها فى الدنيا ..

لقى (محمد) مصرعه نتيجة استهتار شاب أرعن ..

تملكتها - وقتئذ - رغبة عارمة فى الانتقام ، لم تفارقها حتى هذه اللحظة ..

انحفر فى ذهنها وجه القاتل ، ورقم السيارة ..

كان الرقم أسهل من أن يُنسى ، فهو مكوَّن مع خمسة أرقام متشابهة ..

وطراز السيارة نفسه لم يكن من الطُّرُز المألوفة فى مصر ..

كذلك لونها البرّاق ، وذلك الرقم الضخم المرسوم على مقدمتها فى أناقة ..

لذلك لم تجد الشرطة صعوبة فى العثور على السيارة ، وكان أثر الارتطام واضحاً فى مقدمتها ، ولكن المفاجأة جاءت فى أن السيارة مِلْكٌ لذلك الرجل الشهير ، صاحب الملايين ، وصاحب السطوة والقوة فى المجتمع ..

كان من السهل عليها تعرُّفُ وجه السائق القاتل ، الذى لم يكن سوى الابن الأصغر لـ (هاشم النقراشى) ،

الذى لا يجهل طفل فى مصر من أقصاها إلى أدناها مبلغ قوته وسطوته ..

كان من السهل عليها أن تتعرَّف القاتل ، وكان من السهل على محاميه أن يمزّق أقوالها إرباً ..

اعترف المحامى البارع أن السيارة هى التى ارتكبت الحادث ، ربما لأن عدد الشهود الذين تعرَّفوها لم يكن بالضئيل ، ولكنه تعلق بنقطة واحدة ، ألا وهى أن أحدهم لم يستطع تعرُّف سائقها ..

لقد رأوا حادثاً فحسب .. حادثاً راح ضحيته طفل فى الحادية عشرة من عمره ..

ربما بدا لهم الحادث مؤثراً مؤسفاً ، ولكنه لم يمزّقهم كما فعل بقلبها ..

هى الوحيدة التى كان بإمكانها تعرُّف السائق ، ولكن المحامى قال إن هذا لم يكن باستطاعتها ، وهى تقف فى شرفة منزل بالطابق الثانى ..

لم يفدها دفاعها بأنها تتميز بحدة البصر منذ حداثتها ..

لم تستطع مجابهة محام بارع مثله ، يعدُّ واحداً من أشهر المحامين فى القطر كله ..

خاصة بعد أن اعترف سائق (هاشم النقراشى) بارتكابه الحادث ..

أدهشها اعتراف الرجل فى البداية ، ولكنها لم تلبث أن فهمت دوافعه ..

لا ريب أنه تقاضى مبلغاً من المال يسيل له اللعاب ، مقابل هذا الاعتراف الزائف ..

إن (هاشم النقراشى) لن يسمح بدخول ابنه السجن ..

إنه يحتاج إلى سمعته واسمه ، وسائقه المسكين يحتاج إلى المال ..

كانت صفقة رابحة للطرفين ..

هى الطرف الوحيد الخاسر فى هذه الصفقة ..

خسرت شقيقها الوحيد ، وخسرت رغبتها الشديدة فى الانتقام من قاتله ..

كلا .. إنها لم تفقد انتقامها ..

ربما عجز القانون عن تحقيق العدالة هذه المرة ..

ربما اتخذ مرغماً جانب القاتل ..

ولكن الانتقام أفعى لها أكثر من وجه ..

لو أن القاتل نجح فى الإفلات من يد العدالة ، فهو لن يفلت من انتقامها ..

أقسمت فى أعماقها ألا يهدأ لها بال ، حتى تقتص من قاتل شقيقها ..

وقر القسم فى أعماقها ، فمنحها هدوءاً شديداً ، حتى أنها أدارت وجهها إلى وكيل النيابة ، وقالت فى هدوء بدا له عجيباً :

ـ ربما كان هو يا سيادة وكيل النيابة ، إننى لم أتبين وجه القاتل جيداً ..

يبدو أن هذا القول لم يعجب وكيل النيابة ، الذى شعر فى أعماقه بالخدعة التى يلجأ إليها (هاشم النقراشى) لإنقاذ ابنه الأصغر ، فعاد يسألها فى إصرار :

ـ ولكنك قلت فى البداية إن ....

قاطعته فى برود :

ـ كنت شديدة التوتر فى البداية ، ولكننى أصبحت أهدأ الآن ..

عقد وكيل النيابة حاجبيه فى ضيق ، ثم لم يجد أمامه سوى تسجيل تراجعها ، واعتراف السائق ، ثم أصدر قراره بحبس السائق أربعة أيام على ذمة التحقيق ، على حين نهضت (هويدا) فى هدوء ، وغادرت الحجرة بعد استئذان وكيل النيابة ، واختلطت بالعشرات الذين تغص بهم سراى النيابة ..

لم يكن هناك ما يميز (هويدا) وسط الجميع ، فهى تحمل ملامح عادية ، ندر أن تلفت انتباهك لو قابلتها وسط عدد من الفتيات ..

فهى قصيرة القامة نسبياً ، ضئيلة الجسد ، متناسقته ..

شعرها أسود متوسط الطول ، لا هو بالناعم المنسدل ، ولا بالمجعد المتناثر ، ولكنها تصففه فى عناية ، مما يمنحها مظهراً وقوراً معتدلا ..

وجهها أقرب إلى الطول منه إلى الاستدارة ، اصطفت فوقه ملامحها فى انتظام ..

حاجباها كثيفان بعض الشيء ، ولكنهما يتناسبان مع عينيها الواسعتين بلونهما البنى المائل إلى السواد ..

فمها صغير متناسق ، لا هو بالممتلئ ولا هو بالرقيق..

فتاة عادية تشبه نصف فتيات مصر ..

ولكن قلبها فى هذه اللحظة لم يكن عاديًا ..

كان يمتلئ بكمّ من المرارة والكراهية ، يكفى لإغراق العالم أجمع ..

لم يكن يضخ الدم فى عروقها، بل كان ينبض بالانتقام..

توقفت فجأة وهى تهبط فى درجات سلم سراى النيابة..

توقفت وامتلأ قلبها بمزيد من الكراهية، حينما وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام قاتل شقيقها ..

كان يتطلع إليها بعينيه الزرقاوين فى سخرية ، وكأنه يعلن شماتته لفشلها فى إدانته ..

وإلى جواره وقف شاب قريب الشبه منه ظاهريًا ، وإن شعرت هى باختلاف كبير بين أعماقهما ..

شـاب له نفس الوجه المستطيل الحليق ، والشعر الأسود الناعم المصفف فى عناية ..

له نفس العينين الزرقاوين ، ولكنهما لا تحملان السخرية والشماتة ..

كانت عينا الشاب الآخر تحملان الاعتذار والخجل والرثاء ..

أدهشها أنه تقدم منها ، على الرغم من الاستنكار الذى بدا واضحاً فى عينى قاتل شقيقها ، وشعرت بصوته يشف عن أسفه لما حدث ، وهو يقول :

- تقبلى تعازىّ وأسفى .

رفعت إليه عينيها فى غضب ...

يا له من وقح !!

هل ستعيد إليها تعازيه وأسفه شقيقها الراحل ؟

هل ستعود فتملأ حياتها بالأمل والسعادة والارتياح ؟

كادت تصرخ بهذه الكلمات فى وجهه ، ولكنها تراجعت ..

كانت الكراهية والرغبة فى الانتقام تطغى على مشاعرها ، حتى لم تعد تستطيع التعبير عنهما ..

أدارت عينيها إلى القاتل ، وتأملته مرة أخرى ..

أرادت أن تحفر صورته فى عقلها أعمق وأعمق ..

هبطت فى درجات السلم ، متجاهلة ذلك الذى أبدى اعتذاره ، واقتربت فى هدوء من قاتل آمالها ..

أدهشها أنه تراجع أمامها فى ذعر ، كفأر يفرُّ من قط شرس جائع ..

قلبت شفتيها فى ازدراء واحتقار وهى تتأمله ، ثم همست فى صوت خرج من بين شفتيها ، يشى بكل ما يحتمل فى قلبها من كراهية :

— سنلتقى .

واستطرد قلبها فى صمت :

— وسأنتقم .



٢ — الشقيقان ..

عقد المليونير (هاشم النفراشى) حاجبيه فى غضب ، وهو يتأمل ولديه (طارق) و (هانى) ..

كان يعلم أنه على الرغم من التشابه الواضح بينهما ، إلا أن طباع كل منهما تختلف عن الآخر تماماً ..

كان (طارق) الابن الأكبر أقرب إلى طبائع والدته ، فهو رقيق القلب ، مهذب ، له قلب شاعر ، وعقل فنان ، لهذا لم ينجح أبداً فى إدارة العمل فى أى من شركات والده المتعددة ، فهو يميل دائماً إلى إسعاد الآخرين ، وهو عطوف شفوق ، مما يفقده — فى رأى والده — القدرة على إدارة الأمور ..

أما (هانى) الذى يصغر شقيقه بعام واحد ، فقد أتى نسخة كاملة من أبيه ..

إنه تاجر من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .. كل شىء عنده يقاس بمدى الفائدة التى تعود من ورائه ، أو الخسارة التى يكبدها إيَّاه ..

كل شيء حتى العواطف ..

حتى فى علاقته بوالديه ..

إنه يميل إلى الالتصاق بوالده ، ربما لأنه صاحب القوة الاقتصادية فى المنزل ..

وهو ناجح فى إدارة أعمال والده ، ربما لأنه قاسٍ لا يرحم ، كل ما يبحث عنه هو الربح ، والربح فقط ؛ حتى ولو مزّق الجميع من أجل ذلك ..

وكان سبب غضب (هاشم) هو ذلك الحديث المحتدّ الذى يدور بين ولديه فى قاعة الفيلا ..

كان (هانى) يقول فى غضب :

— هل جننت ؟.. هل تريد منى أن أذهب وأعترف بقتلى هذا الطفل التافه ؟

— نعم .. ما دمت قد قتلته بالفعل ، لابد أن تتحمل نتاج عملك .

— لا ريب أنك قد جننت ، هل تريد أن يلقى ابن (هاشم النقراشى) فى السجن ؟

— ابن (هاشم النقراشى) لا يختلف عن أى مخلوق فى المجتمع .

— هذا ما تصوّره لك حماقتك ، لست أدرى كيف نشأت فى هذا البيت .

— هل يرضيك أن يدفع (عم عثمان) المسكين ثمن جريمتك ؟

— لقد تقاضى الثمن ، وهذا يكفيه .

— هل تظنّ النقود ثمناً كافياً لعار السجن ؟

— وماذا يضيرك أنت ؟.. لقد وافق (عم عثمان) .

— وافق مرغماً ؛ لأن أبى هدده بالفصل لو لم يفعل .

— مرغماً أو راضياً ، لقد انتهى الأمر ..

— كلاّ لم ينته ، سأذهب إلى وكيل النيابة و ....

قطع حديثهما صراخ الوالد غاضباً :

— (طارق) !.. ماذا أصابك ؟!

تنبّه (طارق) إلى وجود والده ، فاحتقن وجهه وهو يغمغم :

— لا يعجبنى ماحدث ياأبى ، إن ضميرى يؤرقنى ، حتى أننى لم أنم لحظة واحدة ، منذ اعترف (عم عثمان) بجريمة لم يرتكبها .

قال (هانى) فى سخرية :

– يمكنك أن تتناول بعض الأقراص المنوِّمة .

التفت إليه (طارق) صائحاً فى غضب :

– كفَّ عن سخريتك هـذه ، لو أننى فى موقعك لانزويت خجلاً وعاراً .

احتقن وجه (هانى) غضباً ، وكاد يصرخ فى وجه أخيه ، لولا أن قال الوالد فى صوت هادر :

– ماذا حدث حتى تتخذ موقف العداء من شقيقك هكذا يا (طارق) ؟

ظهر العتاب فى عينى (طارق) ، وهو يواجه والده قائلاً :

– تسألنى ماذا حدث يا أبى ؟

شعر (هاشم) بما يعانيه ابنه الأكبر من صراع فى أعماقه ، كان يعلم أن ضميره التى لا يسمح له بالسكوت عما اقترفه شقيقه ، وكان عليه هو كسياسى ورجل أعمال أن يقتل هذا الضمير ، قبل أن يدفع (طارق) إلى عمل أحمق ، يهدم كل ما بناه هو فى حياته ، فاقترب من ابنه ، وربَّت على كتفه فى هدوء ، وقال فى لهجة آمرة :

– تعالَ إلى مكتبى يا (طارق) ، سنتحدَّث بعض الوقت وحدنا .

ظـل (طارق) صامتاً ، مطرق الرأس طيلة خمس دقائق كاملة فى مكتب والده ، إلى أن سأله الوالد فى هدوء :

– والآن .. ماذا تريد بالضبط ؟

قال دون أن يرفع عينيه إلى والده :

– أن يعترف (هانى) بما فعل ، ويتلقى جزاءه العادل .

كاد الوالد يصرخ متهماً ابنه بالجنون ، ولكنه سيطر على غضبه ، وقال فى هدوء ظاهرىّ :

– وهل تعتقد أن اعترافه سيحل المشاكل كلها ؟

قال (طارق) فى حماس :

– بالطبع .. سيعود (عم عثمان) إلى أبنائه ، وتكون العقوبة من حق المخطئ وحده .

– غبىّ ..

صرخ الوالد بالكلمة فى أعماقه ، ولكنها لم تتجاوز شفتيه ، وعلى العكس فقد بدا شديد الهدوء وهو يقول :

– أنت مخطئ يا (طارق) ، إن ما تقترحه لن يسعد أحداً . إنه سيسىء إلى الجميع . حتى (عم عثمان) نفسه .

سأله (طارق) فى دهشة :

– كيف ؟!

اعتدل الوالد ، وقال فى هدوء :

– دعنا نناقش الأمر على وجهين ، فلنبحث أولا ما سيحدث لو اعترف (هانى) ، سيدخل السجن بالطبع ، وسيتصيد خصومى هذا ، فيملئون به صفحات الجرائد ، ويتحوّل الأمر من تصادم عادىّ إلى قضية الموسم .. أنت نفسك لن تجرؤ على مواجهة أصدقائك ، وأنت شقيق سجين .. أما (عم عثمان) فسيعود إلى أولاده كما كان سائقاً يتقاضى مائة وخمسين جنيهاً شهريًّا ، وينفق على خمسة أبناء ، ويعد القروش حتى يمكنه توفير مصاريف دراستهم بكلياتهم ..

صمت الوالد لحظة ، وكأنه يتأمل أثر كلماته فى وجه ابنه ، ثم تابع :

– أما لو اعترف (عم عثمان) ، فسيكون الأمر أهون كثيراً ، إذ لن يؤثر فى موقفى المالىّ أو السياسىّ خطأ ارتكبه سائق ، واعترف به دون مواربة ، ولن تتوارى عائلتنا خجلاً من ابن سجين ، بل ستفخر بوقوفها

إلى جوار سائقها فى محنته .. أما عن (عم عثمان) فسيقضى عقوبة القتل الخطأ ، وهى تتراوح ما بين ستة أشهر وثلاثة أعوام ، ومع وجود محامينا البارع لن تزيد فترة العقوبة على عام واحد ، تقاضى فيه (عم عثمان) عشرين ألف جنيه دفعة واحدة ، أى ما يقرب من مجموع مرتبه فى اثنى عشر عاماً كاملة ، ثم إنه سيعود إلى عمله سائقاً لى بعد انتهاء فترة سجنه ، وسيرتفع مرتبه – حينذاك – إلى مائتى جنيه شهريًّا .

غمغم (طارق) فى اعتراض :

– وماذا عن أبناء (عم عثمان) ؟ ألن يتواروا خجلاً فى كلياتهم بسبب سجن والدهم ؟

قال الوالد فى حدة لم يستطع إخفاءها :

– سيرفع المال رءوسهم .

أشاح (طارق) بوجهه عن أبيه ، وكأنه يعلن رفضه لمنطقه ، وغمغم :

– وماذا عن تلك المسكينة التى فقدت شقيقها ؟

لم يكن قد نسى بعد ذلك الحزن العميق المحفور فى ملامح (هويدا) ..

ذلك الحزن الممتزج بالكراهية ، والذى مزّق نياط قلبه ، حينما وقع بصره عليها للمرة الأولى ..

ولكن والده أجابه فى جفاء :

– وماذا عنها ؟.. لقد تقدمت بشكوى رسمية ، وأعطاها القانون حقها .

هتف (طارق) فى استنكار :

– أعطاها حقها ؟! .. إنها لن تحصل على حقها إلا إذا رأت (هانى) خلف القضبان .

صرخ الوالد وقد عيل صبره :

– أى عقل أحمق هذا الذى تفكر به ، هل تبيع شقيقك من أجل حمقاء كهذه ، أو من أجل رجل مثل (عثمان) ؟

هتف (طارق) :

– إننى أبحث عن العدالة .

صرخ الوالد فى غضب :

– للعدالة رجالها ، وليس من حقك أن تعدّل عملهم .

– لقد أضلهم اعتراف (عم عثمان) الكاذب .

– لن يتغير هذا الاعتراف مهما حدث .

– حتى ولو أخبرتهم ما لدىّ ؟

– حتى ولو فعلت .

قال (هاشم) هذه العبارة فى صرامة تمتزج بالغضب والحدة ، مما أوقف الكلمات فى حلق ابنه ..

كان (طارق) يعلم أن والده لن يتنازل عن محاولته إنقاذ سمعته وابنه ، مهما كلفه الأمر ..

كان يعلم أنه لو تحدى والده فلن يكون مصيره إلا الهزيمة ؛ لذا فقد عاد يطرق برأسه ، قائلاً :

– لابد من تعويض هذه المسكينة عن شقيقها القتيل على الأقل .

انتزع الوالد دفتر شيكاته وهو يسأل فى صرامة :

– كم يكفى لتعويضها ؟

قال (طارق) فى صوت خفيض ، وكأنه يخجل من انسحابه :

– أعتقد أن عشرة آلاف تكفى .

خط الوالد بضع كلمات سريعة على الشيك ، ثم انتزعه من دفتره ، وناوله إلى ابنه ، قائلاً فى لهجة تنمّ عن نفاد الصبر :

– هاك خمسة آلاف ، ويمكنك إضافة اسمها إلى الشيك .

تناول (طارق) الشيك فى استسلام ، ودسه فى جيب سرواله ، على حين أردف الوالد فى حنق :

– ولا أريد أن أسمع عن هذا الموضوع بعد الآن .

لم يكن (هاشم) يدرى وهو ينطق هذه الكلمات ، أنه على بعد كيلومتر واحد منه ، وفى أحد أحياء القاهرة ، التى تكتظُّ بمتوسطى الدخل ، كانت هناك فتاة وحيدة ، تحصد أفكارها كلها ، فى محاولة لإجباره على سماع هذا الموضوع دائماً ..

فتاة تبحث عن الانتقام ..

كانت (هويدا) تدور فى أرجاء منزلها الخاوى ، وهى تفكر فى وسيلة للانتقام من قاتل شقيقها الوحيد ..

توقفت لحظة أمام حجرة (محمد) ، وتدفق الحنين إلى قلبها جارفاً وهى تتأمل محتوياتها ..

تقدمت من فراش شقيقها الراحل ، وتحسسته فى حنان ، وكأنها تتحسس شقيقها ، ثم لم تلبث أن أجهشت بالبكاء ، وسالت دموعها فوق الفراش الصغير ، فبللته فى مواضع شتى ..

جفت دموع (هويدا) فجأة كما انهمرت ، وحلت الكراهية محل الحنين فى نظراتها وهى تغمغم :

– لن تضيع دماؤك يا (محمد) .. لن يغفر قلبى أبداً لقاتلك .. لن أتركه ينعم بالحياة بعد أن سلبك إياها .

سيطر على مشاعرها شيطان الانتقام ، حتى أنها لم تسمع رنين جرس الباب فى المرة الأولى ، ثم انتبهت إليه فى الثانية ، فأسرعت تفتح الباب ، وهى تسأل نفسها عن الطارق ::

لم تكد تفتح الباب حتى تسمَّرت فى مكانها ، فقد التقت نظراتها بعينى (طارق) ، الذى همس فى لهجة مهذبة :

– هل تسمحين لى بالدخول ؟



٣ ـ حذار يا قلب ..

ظل كل منهما يحدّق فى وجه الآخر لأكثر من دقيقة، ثم قالت (هويدا) فى حدة :

ـ ماذا تريد ؟

أدهشها فيض الحنان المتدفق مع كلماته ، وهو يقول فيما يشبه الاعتذار :

ـ اسمحى لى بالدخول أولا .

شىء ما فى صوته جعلها تفسح له فى الطريق ..

أو لعله فى عينيه ..

شىء ما انبعث من أعماقه ، وتسلل إلى مشاعرها ، فمنحها شعوراً بالأمان ..

تركته يخطو إلى شقتها الصغيرة ، وهى ترقبه بعينيها فى دهشة ..

أدهشتها بساطته ورقته وهدوءه ..

أدهشها أن يكون هذا الرقيق الهادئ هو شقيق قاتل أخيها ..

لاحظت ارتباكه وتردده ، فعادت تسأله وهى تعقد ساعديها أمام صدرها :

ـ ألم يحن الوقت بعد لتخبرنى ماذا تريد ؟

هزّ كتفيه وهو يبتسم فى خجل ، وقال :

ـ إنه خير على أية حال .

وفى هدوء التقط الشيك من جيبه ، وناولها إيّاه ، وتناولته هى بحركة غريزية ، وقرأت الرقم المـدوّن به ، ثم رفعت وجهها إليه ، وهتفت فى دهشة :

ـ ما هذا ؟

من العجيب أن وجهه تخضّب خجلاً ، وهو يهمس :

ـ إنه تعويض بسيط و ....

قاطعته وهى تصرخ فى استنكار :

ـ تعويض ؟!.. كيف تجرؤ على هذا ؟.. هل تظن أموال الدنيا كلها يمكنها أن تعوّضنى عن (محمد) ؟

مزّقت الشيك فى عصبية ، وألقته فى وجهه ، فغمغم فى خجل وضيق :

ـ هذا الغضب لن يعيد شقيقك الراحل ، ثم إن مبدأ

الديَة شرعى ، ومعمول به فى كثير من الدول العربية .

ابتسمت ابتسامة تعبّر عن كل الغضب فى أعماقها ، وقالت :

ـ قانونى لايعترف به .

التقت نظراتهما وهى تنطق هذه العبارة ..

كانت عيناها تحملان نهراً من الكراهية والبغضاء ..

وعيناه تحملان فيضاً من الحنان والشفقة ..

آلمته نظراتها ، وأدهشتها نظراته ..

ارتجف قلبها وهى تنهل من ذلك الحنان ، الذى حرمت منه طويلاً ..

وتمزّق قلبه وهو يستقبل كل هذه الكراهية المطلة من عينيها ..

نهض من مقعده ، وتقدم منها فى هدوء ..

أرادت فى البداية أن تبتعد عنه ، ولكن قدميها لم تطاوعاها ..

أرادت أن تحتفظ بنظرة الكراهية فى عينيها ، ولكن يبدو أن حنانه الدافق نجح فى محو هذه الكراهية لحظات ..

امتدت يده فى هدوء لتستقر فوق كفها الرقيقة ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ..

سرت رعدة دافئة فى عروقها مع ملمس أصابعه ..

ارتجف جفناها لحظة ، وهى تحاول عبثاً الفرار من عينيه ، اللتين احتوتاها تماماً ، وسيطرتا عليها فى حنوّ ورقة ..

انساب صوته الحنون إلى أذنيها هادئاً رقيقاً ، وهو يقول :

ـ (هويدا) .. استمعى إلىّ جيداً ..

شعرت وكأنها مجبرة على الاستماع إليه ، وهو يستطرد :

ـ أعلم جيداً أن الانتقام يعربد فى أعماقك ، وأنك ترغبين فى تحطيم الشخص الذى قتل شقيقك ، وأعلم أن هذه الرغبة تملأ كيانك ، فتحيط عينيك بغشاوة ثقيلة تحجب عنهما وضوح الرؤية ..

كانت هناك غشاوة تحجب عن عينيها وضوح الرؤية بالفعل ..

غشاوة من تلك الدموع التى ترقرقت فى عينيها ، وهى تستمع إلى كلماته ..

كان صوته عجيباً عميقاً ، يفيض منه الحنان أنهاراً ..
كان صوته هو الحنان بعينه ..
امتزج حنانه الدافق بكراهيتها المتفجرة ، وتفاعلا ، فانطلقا على هيئة دموع شقت طريقها إلى عينيها ،وبدأت تسيل على وجنتيها وهو يواصل حديثه الحنون ، قائلاً :
– حينما يتخذ الإنسان الانتقام غاية ، ويضعه نصب عينيه ، فإنه يتصوَّر أنه ببلوغ هذه الغاية سيحظى بالسعادة والهناءة ، ولكن ما أن ينجح فى انتقامه، حتى يحيط به الندم والحزن ، ويقضى ما بقى له من عمر وهو ينعى تلك الرغبة التى حوَّلته إلى حيوان مفترس، ونزعت منه آدميته وكيانه..
سالت دموعها غزيرة وهى تستمع إلى كلماته ، وأطرقت برأسها تغمغم :
– من العسير أن أعفو .
هتف فى إخلاص :
– هذا ما يحاول الشيطان إيهامك به فى البداية ، ولكنك ستشعرين بالراحة والسكينة إذا ما عفوتِ .
كادت تستسلم لكلماته الصادقة المخلصة ..
كادت تمحو من قلبها كل أثر لرغبتها فى الانتقام ..

لم تكن تتصوَّر أن العالم يمكنه أن يحوى مثل هذا القلب الحنون الصافى ..
عادت إلى قلبها تلك الآمال التى فقدتها مع مصرع شقيقها..
ولكن فجأة عاد الحقد ينفث فى أعماقها ..
عادت نيران الكراهية تندلع فى قلبها ..
عاد الانتقام يبرز قويًّا عنيفاً فى عقلها، مختلطاً بالشك والريبة ..
كيف أمكنها أن تصدّق حنانه الزائف ؟..
كيف خدعها بكلماته المعسولة المنمّقة ؟..
أليس هو الآخر ابناً لـ (هاشم النقراشى) ؟..
أليس شقيق قاتل أخيها ؟..
محت هذه الأسئلة كل الرحمة من أعماقها ..
لم يعد فى قلبها سوى الانتقام ..
ولكنها هذه المرة كانت أقوى ..
لم تسمح لكراهيتها باحتلال ملامحها ، والسيطرة على مشاعرها ..
تظاهرت بأنها قد قنعت بحديثه ، وقالت وهى تطرق برأسها أرضاً :

- هل ترغب فى مساعدتى بحق ؟
هتف فى لهجة تشفّ عن إخلاصه وصدقه :
- بلا شك .
رفعت عينيها إليه تتأمل ملامحه ..
كادت تتراجع عن رغبتها فى الانتقام ، وهى تلمح كل تلك الطيبة المحفورة على وجهه ..
كادت تعود إلى الاقتناع بكلماته ..
ولكن لا ...
حذار يا قلب من الخداع ..
لا تضيّع دماء (محمد) ..
لا تغفر لقاتله ..
قالت فى هدوء يخفى العاصفة المدمّرة فى أعماقها :
- ابحث لى عن عمل إذن .
حدّق فى وجهها بدهشة ، وغمغم :
- عمل ؟! .. ألست تعملين فى دار للأزياء ؟
حطم هذا السؤال البقية الباقية من التردد فى أعماقها ..
إنه يعلم عنها كل شىء إذن ..
إنه يخدعها ولا شك ..

أضاف إليها الغضب قوة إضافية ، جعلتها تبدو هادئة وهى تكذب قائلة :
- لقد أرغمتنى تحقيقات النيابة على ترك العمل لأكثر من أسبوع متواصل ، ولقد كنت أعمل بعقد مؤقت ، مما حدا بصاحب العمل إلى فصلى .
ظهر الأسف والاعتذار فى عينيه ، وهو يقول :
- يا إلهى !.. كم يؤسفنى ذلك .
ثم عقد حاجبيه ، وهو يواصل فى حماس :
- لا عليك ، سأحصل لك على عمل أكثر ربحاً .. كم كنت تتقاضين فى دار الأزياء ؟
قالت فى هدوء :
- خمسين جنيهاً شهريًّا .
هتف فى حزم :
- ستتقاضين مائة فى عملك الجديد ، بل مائة وخمسين .
مطت شفتيها فى استنكار مصطنع ، وقالت :
- من ذا الذى يدفع مرتباً شهريًّا يبلغ هذا القدر ، لفتاة لم تحصل إلا على الثانوية العامة .
قال فى حماس :

ـ أنا .

اتسعت عيناها وهى تحدق فى وجهه بدهشة ، فارتبك وهو يقول :

ـ أعنى والدى بالطبع ، سأسعى جاهداً لتحصلين على وظيفة مناسبة فى أحد شركاته .

كادت تبتسم فى ظفر ..

لقد نجحت خطتها .. نجح الجزء الأول منها ..

نجحت فى التسلل إلى أعماق الهدف ..

انضمامها إلى إحدى شركات (هاشم النقراشى) سيكون البداية ..

ولن ينتهى الأمر إلا بتدمير (هاشم) وابنيه وشركاته ..

كانت رغبتهـــا فى الانتقام تفوق جسدها الضئيل ، وقدراتها المتواضعة ..

وكان الهدف الذى اختارته صعباً ، عسير المنال ..

ولكنها قرّرت أن تخوض القتال ..

رسمت ابتسامة جذابة على شفتيها وهى تواجه (طارق) قائلة :

ـ لن أنسى هذا الجميل .

ثم أردفت فى دلال :

ـ لو أنك نجحت بالطبع .

تركته يحتوى كفها الرقيقة فى راحته ، وهو يقول :

ـ سأنجح بإذن الله .

ثم مال نحوها ، وهمس فى حنان :

ـ ترى .. أما زالت الرغبة فى الانتقام تراودك ؟

هزّت رأسها فى بطء ، دون أن ترفع عينيها عن عينيه ، فتنهد هو فى صوت مسموع ، وقال فى ارتياح واضح :

ـ هذا ما أتمناه .

رافقته إلى باب شقتها ، وهناك استدار إليها ، وقال فى صوت حنون :

ـ أرجو ألا يكون هذا آخر لقاء بيننا .

عاد قلبها يرتجف بالحنان ..

عاد جفناها يرتعدان ..

وعاد عقلها يصرخ فى عنف :

ـ حذار يا قلب .

* * *

حدّق (هانى) فى وجه شقيقه لحظة ، وكأنه يتأمل مجنوناً خطراً ، نجح فى الفرار من وكر للمبروصين ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

– لقد جننت .. لم يعد لدىّ شك فى ذلك ، ولولا أننى أخشى على سمعة والدنا ، لأرسلتك بنفسى إلى مستشفى المجاذيب .

لم تثر أعصاب (طارق) هذه المرة ، بل ظل هادئاً بارداً ، وهو يقول :

– فليكن .. يمكنك أن تقول إننى جننت ، ولكننى أكرر أن (هويدا) ستعمل فى شركتنا بمرتب قدره مائة وخمسون جنيهاً شهريًّا .

هتف (هانى) فى استنكار :

– مائة وخمسون جنيهاً ؟! ولِمَ لاتقول ألفاً وخمسمائة ؟.

قال (طارق) فى عناد :

– ستعمل (هويدا) فى شركتنا بالمبلغ الذى حددته .

ظهرت السخرية فى ملامح (هانى) ، وقال :

– عجباً !!.. ما الذى فعلته بك هذه اللعوب ؟

تصاعدت دماء الغضب إلى رأس (طارق) ، بعد أن سمع ذلك الوصف الحقير ، الذى يصف به شقيقه (هويدا) فهبَّ من مقعده ، وجذب شقيقه من سترته فى حدة أذهلت هذا الأخير ، وقال فى صوت يفيض بالصرامة :

– أى إنسان أنت ؟!.. ألم تكتفِ بقتل شقيقها ؟.. ألم يكفك تحطيم آمالها ، فتسعى للمساس بشرفها وسمعتها أيضاً ؟

لم يكن (هاشم) قد تدخل حتى الآن فى المشادة الكلامية بين ولديه ..

كان يكتفى بمتابعة الحوار بينهما ، حتى بدأ الأمر يتخذ صورة أكثر حدة ، فصاح فى صرامة وغضب :

– كفى .

خلّص (هانى) سترته من قبضة شقيقه، والتفت إلى والده صائحاً :

– إنه يريدها أن تعمل فى شركتنا يا أبى .

صاح (هاشم) فى صرامة :

ـ لقد سمعت يا (هانى) .

ثم التفت إلى (طارق) ، وقال :

ـ من العسير أن أوافق على مطلبك هذا يا (طارق) ، ولكننى مستعد لأن أضمن لها وظيفة فى إحدى شركات صديق المليونير ..

قاطع (طارق) والده ، قائلاً فى عناد :

ـ بل فى شركتنا يا أبى ، إننا لن نفرّ من كل مسئولياتنا تجاهها ، لقد أهدرنا دم شقيقها الوحيد ، وحرمناها القصاص له ، وهذا يكفى .

عقد (هاشم) حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ وجودها ضمن موظفينا يسىء إلينا كثيراً يا (طارق) .

هتف (طارق) فى حنق :

ـ منذ متى يخشى الفيل فراشة رقيقة ؟.. كيف تخشون فتاة وحيدة إلى هذا الحد ؟

صاح (هانى) فى غضب :

ـ أنت لا تفهم شيئاً .

شعر (هاشم) بالغيوم تتجمع فى سماء عائلته ، التى يحرص دائماً على ترابطها ومظهرها ..

شعر بالخطر يحوم حول أسرته بسبب (هويدا) ..

كاد يثور فى البداية ، ولكن الحكمة التى أكسبته إيّاها حياته العملية دفعته إلى قرار آخر ..

ابتسم فى هدوء ، وقال :

ـ لا بأس يا (طارق) ، سأوقع قرار تعيينها فوراً .

تألقت عينا (طارق) ببريق الظفر ، وتجاهل الدهشة والغضب فى عينى شقيقه ، وقال :

ـ ما زال لدىّ مطلب آخر .

سأله والده فى ضجر :

ـ ماذا لديك ؟

أجاب (طارق) :

ـ أريد أن أعمل فى الشركة ذاتها .

عقد (هاشم) حاجبيه وهو يحاول فهم ما يرى إليه ابنه من مطلبه الثانى ، ثم لم تلبث أساريره أن انفرجت ، وقال فى هدوء :

- ليكن .. ستتولى قسم العلاقات العامة ، وأتعشم أن تبرع فى هذا المجال .

هتف (هانى) فى استنكار :

- والدى !!

التفت (هاشم) إلى ولده الأصغر ، وقال فى صرامة :

- أنا صاحب الكلمة الأخيرة يا (هانى) ، لا تنس ذلك ما دمت على قيد الحياة .

تهللت أسارير (طارق) ، وقال وهو يسرع خارجاً :

- شكراً يا والدى ، سأخبرها بالأمر بنفسى .

لم يكد (طارق) يبعد عن ناظريهما ، حتى هتف (هانى) فى استنكار :

- كيف توافقه يا والدى ؟

ابتسم (هاشم) ابتسامة الرجل الواثق بنفسه ، وقال فى هدوء :

- ما زال ضمير أخيك يعذبه يا (هانى) ، ورفض تلك الماكرة الحصول على النقود زاد من التهاب ضميره ؛ لذا فهو يصرّ على معاونتها على النحو الذى يراه صحيحاً ،

وعلينا أن نطاوعه حتى يهدأ غضبه ، ويخلد ضميره للنوم ، ثم نفعل ما نشاء .

مطّ (هانى) شفتيه ، وقال :

- لن أحتمل رؤيتها فى الشركة .

ابتسم (هاشم) وقال فى دهاء :

- اطمئن يا (هانى) .. إنك لن تراها طويلاً .

سأله (هانى) فى دهشة :

- ماذا تعنى يا أبى ؟

أشعل (هاشم) سيجاراً فاخراً ، ونفث دخانه فى الهواء ببطء ، ثم قال دون أن تفارقه ابتسامته الماكرة :

- سيسعى (طارق) لتعيينها إلى جواره .. أراهنك أنها ستعمل فى قسم العلاقات العامة .

كان استنتاج (هاشم النقراشى) صائباً إلى حد كبير ، فلا ريب أن احتكاكه الدائم بالبشر قد ولد لديه خبرة لا يستهان بها فى فهم طبائعهم ، خاصة وهو يسعى طيلة عمره للإفادة من هذه الطبائع ، واستغلالها ..

لقد كان أول قرار يتخذه (طارق) فى منصبه

الجديد ، كمدير للعلاقات العامة ، هو أن وقع أمر تعيين (هويدا) سكرتيرة له ..

لم يدر وقتئذ لماذا يصرُّ على وجودها بالقرب منه إلى هذا الحد ..

أهى شفقته عليها ؟! ..

أهو حنانه الدافق ؟! ..

أهى رغبته فى رعايتها وتعويضها عن شقيقها الضائع ؟! ..

لم يحاول إجابة سؤاله فى حينه ، واكتفى بضمان قربها منه ..

أما (هويدا) فقد أسعدها هذا المنصب للغاية ..

أسعدها ، لأنه يقفز بها خطوة إلى الأمام فى طريق انتقامها ..

ولكن خطتها المعقدة لم تكن لتكتفى بهذا المنصب ..

كان عليها أن تثبت تفوُّقها فى عملها ..

كان عليها أن تمحو من ذهن (هاشم) وولديه كل شك فيها ..

كان عليها أن تكسبهم أولا ، ثم تدمرهم بعد ذلك ..

كانت هذه خطتها وهى تتسلم عملها الجديد ..

ولكن (طارق) عاد يبعث التردد والحيرة فى أعماقها ، وهو يستقبلها بحنانه الغامر ، وأدبه الجم وهى تتسلم منصبها ، كسكرتيرة له ..

لقد استقبلتها ابتسامته العريضة الصافية ، وعيناه الحانيتان ، وهو يصافحها فى رقة ، قائلاً :

- مرحباً بك فى عملك الجديد يا آنسة (هويدا) .

خفضت وجهها تحاشياً لعمق عينيه الزرقاوين ، وقالت :

- أشكر لك كل ما فعلت من أجلى يا (طارق) بك .

وضع يده على كتفها ، وهو يقول فى بساطة :

- إننى لم أفعل إلا ما تستحقينه يا (هويدا) .

مرة أخرى سرت فى جسدها تلك الهزة الدافئة لمسات أصابعه ..

مرة أخرى تلاشت رغبتها فى الانتقام أمام حنانه الغامر ..

ولكن عنادها عاد يدفع رغبتها فى الانتقام إلى الأمام ..

عاد يضع أمام عينيها صورة الحادث ، الذى أودى بحياة شقيقها ..

غمغمت فى ارتباك حقيقى :

- هل تريد شيئاً خاصاً يا (طارق) بك ؟

أراد (طارق) أن يخبرها أنه يريد أن يراها مبتسمة ..
كاد ينطق بهذا المطلب فعلاً ، ولكنه تراجع ..

أدهشه ذلك الشعور العجيب بالارتياح والسعادة ، الذى ينتابه ، ويملأ كيانه ومشاعره ، كلما رأى (هويدا) أو تحدث إليها ..

تساءل فى تردد : أهو الحب ؟!..

أسرع يستنكر سؤاله ..

كيف أحبها فى هذا الوقت القصير ؟..

لعلها رأفته بها ليس أكثر ..

أربكه السؤال ، حتى أنه رفع يده عن كتفها ، وأشاح بوجهه وهو يقول :

— نعم يا (هويدا) .. أريدك أن تبذلى قصارى جهدك فى العمل .

لم ينتبه إلى ذلك التعبير العجيب الذى بدا فى صوتها ؛ وهى تقول فى حزم :

— اطمئن يا (طارق) بك .. سأفعل .

* * *

٥ ـ انه الحب ..

أقبلت (هويدا) على العمل فى همة ونشاط لم تعهدهما فى نفسها من قبل ..

وكذلك فعل (طارق) ..

وجود (هويدا) إلى جواره فجر فى أعماقه الحماس والثورة ، وكشف فجأة أنه يميل إلى عمل العلاقات العامة ، وربما عاونته دراسته فى قسم إدارة الأعمال بكلية التجارة على ذلك ، ولكنه لم يمض شهر واحد فى عمله الجديد ؛ حتى أثبت تفوقاً وبراعة أدهشا والده وشقيقه ..

تحوّل قسم العلاقات العامة بواسطته ، إلى كتلة من النشاط والحيوية ، وحسن الأداء ..

(هويدا) نفسها غاصت فى العمل حتى قمة رأسها ..

ومن العجيب أن ذلك العمل المتواصل الناجح ، قد نزع من قلبها تلك الرغبة العنيفة فى الانتقام ..

لم تعد تجد حتى الوقت للتفكير فى انتقامها ..

أو لعلها علاقتها بـ (طارق) ، التى تطوّرت كثيراً ، بعد عملهما معاً فى مكتب واحد ..

كثيراً ما أدهشها ذلك الفيض الهائل من الحماس والحنان والدفء ، الذى يتدفق منه ..

كان قد نجح ، فى خلال شهر واحد ، فى إحاطة جميع العاملين معه بسيطرته ، النابعة من أسلوبه المهذب الحازم ، حتى باتوا يتسابقون على النجاح من أجله أولا ..

أصبح كقائد ناجح ، يحيط به جيش مستعد لبذل الدم من أجله ..

جيش التفّ حول نبع من الحماس والحنان ..

وجدت نفسها تتحوّل تدريجيًا إلى واحدة من أخلص جنود هذا الجيش ..

كشفت من خلال احتكاكها المباشر بـ (طارق) ، أنه لم يكن يفتعل ذلك الحنان الذى حادثها به فى منزلها ..

وجدت نفسها تنجذب تدريجيًا إلى حماسه وطيبته ، حتى تلاشت تماماً رغبتها فى الانتقام ..

أصبح هدفها الأول هو إسعاده وإرضاؤه ..

هو أيضاً كان يشعر وكأنه يعمل من أجلها ..

يسعى إلى النجاح من أجلها ●.

شعر أن هدفه الأول هو إسعادها وتأمينها ..

نشأت بينهما رابطة قوية ، لم يعلنها أحدهما صراحة ..

رابطة جعلت قلب كل منهما يختلج بين ضلوعه ، كلما تحادثا ، أو تناقشا فى أمر من أمور العمل .

رابطة حار كل منهما فى إيجاد مصطلح موضح لها ..

ولكن هذا لم يمنع قلبيهما من أن يهمسا فى خجل واستحياء :

- إنه الحب .

ولكنهما كانا يسارعان بنفى ذلك التفسير واستبعاده ، وكأنما يخجلهما أن تتوثق بينهما هذه العاطفة النبيلة ..

إلى أن جاء ذلك اليوم ..

كان (طارق) يشعر بإرهاق بالغ ، بعد أن انتهى من أكبر حملة إعلاميّة نظمها قسم العلاقات العامة منذ إنشاء الشركة ، فاستلقى فوق مقعد وثير فى طرف حجرة مكتبه ، وطلب من (هويدا) إحضار بعض الأوراق الباقية لتوقيعها قبيل انصرافه ..

وعندما دخلت (هويدا) إلى حجرته ، كان وجهه واضح الشحوب ، وعيناه ذابلتين متعبتين ، فوضعت الأوراق

أمامه ، دون أن ترفع عينيهـا عن وجهـه الشـاحب ، وغمغمت فى جزع واضح :

– ماذا أصـابك يا (طارق) بك ؟.. إنك تبـدو مرهقاً للغاية .

رفع عينيه إليها ، وابتسم فى امتنان واضح وهو يغمغم :

– هذا صحيح يا (هويدا) شكراً لسؤالك .

لاحظت هى بعض قطرات باردة من العرق تلتمـع فوق جبينه ، على الرغم من هواء الحجرة البارد، فأسرعت تلتقط منديلها ، وتجفف قطرات العرق فى لهفة ، وقلق ..

لم تبتعـد عينـا (طـارق) عنها وهى تفعل ، وإنما تحوّلت نظراتهما من الامتنان إلى العاطفة الجياشة ، ورفع كفه فى هدوء يلتقط كفها الرقيقة فى راحته ..

ارتجف جسدها ، وسرت فيـه تلك الهزّة الدافئة ، وحاولت فى ارتباك جذب كفها من راحته ، فترك كفها تُفلِتُ فى رقـة ، ونهض يواجهها ، ويغوص بعينيه فى عينيها مباشرة ، وهمس فى حنان :

– (هويدا) ..

تلعثمت ، وتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تخفض عينيها هامسة :

– (طارق) ... بك .

أسند كفيه إلى كتفيها ، وقال فى صوت خفيض :

– (هويدا) .. أعتقد أنك تحسين بمشاعرى نحوك منذ زمن ، أم أنك تريدين منى أن أعترف بها صراحة ؟

اختلج قلبها بين ضلوعها فى فرح ، وازدادت حمرة وجهها ، وهى تشيح به دون أن تنبس ببنت شفة ، فابتسم فى خجل وهو يقول :

– حسناً يا (هويدا) .. أعترف أننى أحبك .

أحبك .. أحبك .. أحبك ..

خيل إليها أن الكلمة تتردد فى كل خلية من خـلايا جسدها ..

شعرت أنها تتكرّر مع كل نبضة يختلج بها قلبها ..

تصوّرت أنها لم تسمع فى حياتها موسيقى أعذب من هذه الكلمة ..

ترقرقت دموع الفرح فى عينيها ، وارتجفت كعصفور

مبتل ، فعاد (طارق) يحتضن كفها فى راحته ، ويهمس فى لهفة :

–(هويدا)..أريدمعرفةحقيقةمشاعركنحوى..أرجوك.

رفعت إليه عينيها فى خجل ، والتقت نظراتهما لحظة واحدة ..

لحظة أقرّت فيها بمشاعرها نحوه ..

لحظة اعترفت فيها بحبها واحتياجها إليه ..

تهللت أساريره ، وبدا صوته مفعماً بالحب والسعادة وهو يهتف :

– (هويدا) .. كم يسعدنى هذا !!

تمتمت :

– (طارق) ..

أرادت أن تردف اسمه بلقب (بك) كما اعتادت فى مخاطبته ، ولكنها لم تستطع ..

شعرت أنه لم يعد رئيسها فى العمل ..

أصبح حبيبها فقط ..

والإنسان لا ينادى حبيبه بلقب أو جاه ، فلقب الحبّ وحده يفوق كل الألقاب ..

إنها فى الواقع لم تجد ما تقوله ، بعد أن نطقت اسمه، ولاذت بالصمت ..

هو أيضاً لم يجد ما يقوله بعد أن كشف أنها تبادله مشاعره ..

اكتفى كلاهما بالتطلع إلى وجه الآخر فى حب وحنان ..

كان صمتهما أبلغ من أى حديث ..

تلاشى كل الإرهاق الذى كان يشعر به (طارق) أمام عينيها ..

وتلاشت كراهيتها ، ورغبتها فى الانتقام أمام حبه وحنانه ..

ذاب كل منهما فى كيان الآخر ، ومشاعره ..

إنها واحدة من اللحظات النادرة ، التى يتنسم فيها الإنسان نسيم الجنة ، وهو لم يزل بعد حيًّا على أرض الواقع ..

واحدة من اللحظات التى لا تتكرّر أبداً فى حياة المرء ..

ولقد أصرّ كل منهما على الاحتفاظ بهذه اللحظة طويلاً..

إنهما لم يشعرا حتى بمرور الوقت ..

كانت قد مضت نصف ساعة كاملة، دون أن يتحرّك أحدهما حركة واحدة ..

كانا كتمثال من المرمر ، نحته يدا فنان بارع ، معبراً عن أجمل صور الحب والحنان ..

كانا كذلك حينما دقت ساعة الحائط فى حجرة (طارق) ، معلنة مرور الوقت ، فانتفضا وكأنما يستيقظان من حلم جميل ، وتصاعدت دماء الخجل إلى وجنتيهما فى آن واحد ، فأفلتت كفّ (هويدا) من راحته فى رقة ، وقال هو فى فرح :

– إنه أسعد أيام حياتى يا (هويدا) .

أدارت وجهها بعيداً فى خجل ، وتركت شفتيها تنفرجان عن ابتسامة تشف عن سعادتها وفرحها ، فاستطرد هو فى لهفة :

– هل تقبلين دعوتى لتناول العشاء يا (هويدا) ؟

همست فى استحياء :

– نعم يا (طارق) .

ثم أسرعت تغادر مكتبه قبل أن تغلبها عواطفها ، فتلقى بنفسها بين ذراعيه ، وصاح قلبها وهى تغلق الباب خلفها :

– نعم .. إنه الحبّ .. إنه الحبّ ..

* * *

٦ – قلب لا يرحم ..

استدارت رءوس رواد ذلك المطعم الفاخر فى قلب القاهرة ، تتطلع إلى تلك الفتاة بارعة الحسن ، باهرة الجمال ، التى خطت إلى المطعم ، وهى تتأبط ذراع شاب وسيم ، أنيق الملبس ، واضح الثراء ..

كانا يتهامسان على نحو عابث ، ينم عن استهتار طبيعى ، ولا مبالاة بالقواعد العامة ، وهما يتقدمان إلى مائدة تتوسط المطعم ، وضعت فوقها لوحة صغيرة ، تشير إلى أنها محجوزة مسبقاً ، وتقدم منهما نادل المطعم ، وانحنى يحيى الشاب الوسيم فى احترام ، وعلى نحو يشير إلى كثرة تردده على ذلك المطعم ، وابتسم ابتسامة خبيثة وهو يختلس النظر إلى الشقراء الفاتنة التى ترافقه ، وهو يتساءل فى أعماق نفسه : عن ذلك العدد من الفتيات اللاتى يصطحبهن الشاب الوسيم إلى ذلك المطعم الفاخر ..

كان الشاب يتحرّك ويتصرّف على نحو يوحى بالغرور والتكبر ، ودار بعينيه حوله ، يتأمل روّاد المطعم فى خيلاء ، وكأنه يتباهى بصديقته الشقراء ..

كانت الفتاة حقاً فتنة للناظرين ..

إنها واحدة من الفتيات اللاتى ولدن من أب مصرى وأم فرنسية ..

منحتها أمها شعرها الأشقر متوسط النعومة ، المتموّج فى إغراء ، وبشرتها البيضاء المشربة بالحمرة ، وقوامها المتناسق البديع ..

ومنحها والدها عينيه السوداوين ، وأنفه المستقيم وشفتيه الصارمتين ..

امتزجت الملامح المصرية بالفرنسية فى وجهها ، فى مزيج فتان ، قلّ أن تعثر عليه فى أى من الدولتين على حدة..

وكانت تعلم أنها فاتنة ..

رفيقها كذلك كان يعلم هذا ، ويتباهى برفقتها له ..

كان يوزع نظرات التباهى والغرور على روّاد المطعم ، عندما توقفت عيناه الزرقاوين فجأة عند منضدة صغيرة ، ازوت فى ركن المطعم بعيداً عن أعين الفضوليين..

توقفت عيناه ، واتسعتا فى دهشة ، وفوجئت به رفيقته يتمتم فى غضب :

ـ يا الماكرة ؟!

عقدت رفيقته الشقراء الفاتنة حاجبيها الجميلين ، ومالت نحوه تسأله فى اهتمام :

ـ عمن تتحدث ؟

ظلت عيناه مثبتتين على المائدة الصغيرة ، التى جلس حولها شاب وفتاة ، تشاغلا عن العالم كله بحديث هامس ، وابتسامات تحمل أصفى معانى الحب والهيام ، وقال فى حقد واضح :

ـ لا عليك يا (سمر) .. إنها فتاة ماكرة عرفتها فى ظروف معقدة ، كشفت اليوم أنها تحاول الاستيلاء على قلب شقيق .

اختلست (سمر) النظر إلى حيث يجلس (طارق) ، و (هويدا) ، وقالت فى ضيق واضح ، بلهجتها ذات الرّاء المنغومة ، والتى اكتسبتها من والدتها الفرنسية :

ـ وماذا يعنيك من شأنهما ؟.. هل تحبها يا (هانى) ؟

استدار إليها (هانى) ، وهو يحمل فوق شفتيه ابتسامة تجمع ما بين السخرية والاستنكار ، وقال :

– أحبها ؟!.. كلاَّ يا عزيزتى ، إن مشاعرى نحوها تحمل العكس تماماً، إننى أبغضها كما يبغض الإنسان الموت والمرض .

سألته فى دلال مصطنع :

– يبدو أنها عذبتك طويلاً فيما سبق .

قال وهو يلوّح بكفه ، ويقطب جبينه ضيقاً :

– لا يوجد من يجرؤ على تعذيبى .

ثم نهض فجأة ، وقال :

– هيَّا بنا .. سنتناول عشاءنا فى مكان آخر .

ظلت (سمر) تختلس النظر إلى وجه (هانى) ، وهو يقود سيارته الفاخرة إلى مطعم آخر عند أطراف القاهرة ، وتساءلت فى ضيق عن السبب الحقيقى لكل هذا الحنق ، الذى انتابه عند رؤيته تلك الفتاة ، ولم تستطع كتمان فضولها طويلاً ، فسألته وهما يتناولان عشاءهما :

– ما الذى فعلته لك هذه الفتاة ؟

قال وهو يواصل تناول عشائه ، ودون أن يرفع إليها عينيه :

– لقد تحدتنى يوماً .

ثم رفع رأسه ، وابتسم فى سخرية ، وتابع :

– أرادت أن تلقى بى فى السجن .

هتفت (سمر) فى دهشة :

– فى السجن ؟!

اشتعل فضولها ، وتوسلت إليه أن يخبرها بتفاصيل الأمر ، ولكنه تجاهل رغبتها ، وتركها تلتهب فضولاً ..

كان هناك خلل فى طبيعته ولا شك ..

إنه يتلذذ برؤية عذاب الآخرين ..

توسلاتهم تسعده وتنعشه ..

آلامهم تبعث فى نفسه النشوة ..

أفراحهم تحنقه وتبغضه ..

ومن العجيب أنه لم يكن يجرؤ على مواجهة أحد خصومه وجهاً لوجه ..

كان أجبن من أن يتخذ موقفاً مباشراً ، على الرغم من غروره وخيلائه ..

كان فأراً يجيد الإيذاء ، ويخشى الوضوح والشجاعة.

ولقد تملكته فى تلك الليلة تلك الرغبة العنيفة فى الإيذاء ، وأضيفت إليها كراهيته لـ (هويدا) ، مما دفعه إلى الإسراع فى العودة إلى منزل أسرته » ولم يكد يصل حتى اندفع إلى حجرة مكتب والده ، واقتحمها وهو يهتف فى لهجة توحى بحدوث أمر جلل :

ـ كارثة يا والدى .. اليوم كشفت كارثة .

ظهر القلق فى ملامح (هاشم النقراشى) ، وهو يسأل ولده فى جزع :

ـ ماذا حدث ؟.. هل فشلت إحدى عملياتنا ؟

لوّح (هانى) بكفه فى قوة ، وقال :

ـ بل هى كارثة عائلية يا أبتاه » لقد نجحت تلك اللعينة (هويدا) فى الاستيلاء على قلب ذلك الغبىّ (طارق) .

عقد (هاشم) حاجبيه ، وتساءل فى دهشة :

ـ (هويدا) ؟!.. من (هويدا) هذه ؟

مطّ (هانى) شفتيه غضباً ، وقال :

ـ إنها تلك الحقيرة التى أرادت إدخالى السجن بسبب شقيقها .

رفع (هاشم) حاجبيه ، وكأنه تذكر الأمر ، وعاد يسأل ابنه فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بأنها قد نجحت فى الاستيلاء على قلبه ؟

أسرع (هانى) يصف لوالده ما رآه فى ركن المطعم الفاخر ، واستمع إليه (هاشم) فى اهتمام ، ثم ابتسم وقال فى هدوء :

ـ ومن يدريك أنه يهواها ؟ لعله بعض عبث الشباب .

هتف (هانى) فى سخرية :

ـ عبث الشباب ؟!.. يبدو أنك لا تعرف (طارق) جيداً يا والدى ، إنه شاب ساذج ، لا يميل إلى ذلك النوع من العبث ، أراهنك أنه غارق فى حبها حتى أطراف شعر رأسه .

عقد (هاشم) حاجبيه ، واستند بظهره إلى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه يفكر فى الأمر بعمق ، ثم قال بعد فترة ناهزت الدقائق الخمس :

ـ ربما كان يتصوَّر ذلك حقّاً ، ولكننى أعتقد أن

ارتباطه بها يعود إلى شعوره بالذنب تجاهها ، وبالشفقة لحالها .

قال (هانى) فى غضب :

– ولكن هذه الحقيرة تستغل ذلك جيداً .

ثم استطرد فى انفعال :

– لابد من فصلها يا أبى ، هذا هو الأسلوب الوحيد لإبعادها عنه .

هز (هاشم) رأسه نفياً فى بطء ، وقال فى هدوء :

– خطأ يا (هانى) .

عقد (هانى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يتأمل والده الذى نهض من خلف مكتبه ، وسار فى أرجاء الحجرة ، مستطرداً :

– لو أننا فصلناها كما ترغب ، سيزيد هذا من الشعور بالذنب فى نفس (طارق) ، وستتضاعف رغبته فى حمايتها ، وتأمينها ، مما سيزيد من ارتباطهما وتقاربهما ، كما أنها مع افتقادها للأمان ، ستزداد التصاقاً به .

ثم توقف ، وهز رأسه نفياً ، وتابع :

– كلاً يا (هانى) .. من الخطأ أن نفعل ذلك .

هتف (هانى) فى حنق :

– هل نتركها تفوز به إذن ؟

ابتسم الوالد فى مكر ، وقال :

– كلاً بالطبع يا بنىّ ، ولكننا سنبحث عن وسيلة سليمة .

صمت لحظة وكأنه يفكر فى الأمر ، ثم واصل حديثه قائلاً :

– هناك وسيلتان فقط لإنهاء هذا الارتباط ، إما أن نغرى الفتاة بالابتعاد عنه بواسطة المال ، وإما أن نفتعل ما يحطم أحدهما فى نظر الآخر .

أسرع (هانى) يقول فى حماس :

– سأمنحها عشرة آلاف و ....

قاطعه (هاشم) فى رصانة :

– إنها ليست من ذلك النوع الذى يبيع عواطفه بالمال يا (هانى) ، ولا تنس أنه قد سبق لها رفض خمسة آلاف جنيه ، تعويضاً عن شقيقها .

ثم ابتسم فى دهاء ، واستطرد :

ـ الأسلوب الوحيد هو أن نجعل أحدهما يتصوَّر أن الآخر يخدعه .

برقت عينا (هانى) ببريق سادى ، وقال :

ـ لقد فهمت يا أبتاه .

ثم التقط سماعة الهاتف وهو يقول :

ـ لقد وجدت الوسيلة المناسبة لتحطيم هذا الحب الصبيانى يا أبى .

سأله الوالد وهو يتأمله يدير قرص الهاتف :

ـ هل لى أن أعرفها ؟

ابتسم (هانى) ابتسامة تفيض شراسة وخبثاً ، وهو يقول :

ـ (سمر) .

سأله والده فى دهشة :

ـ من (سمر) هذه ؟

قال (هانى) فى هدوء مخيف :

ـ إنها السلاح السرِّى ، الذى سيكفل لنا النصر

يا أبتاه .. السلاح الذى سينتزع قلب (طارق) بعيداً عن تلك السخيفة (هويدا) .

ثم قال حينما سمع صوت (سمر) على الجانب الآخر من الهاتف :

ـ مساء الخير يا (سمر) ، عندى لك عمل يحتاج إلى مواهبك وجمالك ؛ عمل ستحصلين فى مقابله على خمسة آلاف جنيه دفعة واحدة .

* * *



٧ ـ الغريمة ..

جاء هذا الصباح مختلفاً فى عينى (هويدا) ..

جاء مليئاً بالحب والأمل والحياة ..

بدلت لأول مرة منذ فترة طويلة ثوبها الأسود ، بآخر أصفر اللون ، له ياقة مرتفعة ، وأزرار كبيرة عند الصدر ، تتناثر فوقه نقوش من لون أصفر غامق ، تمنحه مظهراً وقوراً أنيقاً ..

استغرقت وقتاً طويلاً فى إعداد زينتها فى اهتمام بالغ ..

كانت تعدّ نفسها للذهاب إلى العمل ، كما لو كانت تستعد لموعد غرامى ..

وكان ذهابها إلى العمل هذه المرّة موعداً غراميًّا بالفعل ..

هناك ينتظرها حبيبها فى شوق ولهفة ..

ابتسمت فى سعادة ، وهى تلق نظرة أخيرة على نفسها فى المرآة ..

كانت قد تبدلت تماماً ..

عادت إليها ابتسامتها وحيويتها ..

عاد إليها الأمل وحبّ الحياة ..

تمنت أن يلحظ (طارق) هذا التغيير ..

ولقد فعل ..

أطلّ الإعجاب من عينيه واضحاً ، وهو يستقبلها بابتسامة عريضة ، تملأ نصف وجهه ، وأسرع يلتقط كفها بين راحتيه فى لهفة ، ويهمس فى حبٍّ وسعادة :

ـ تبدين رائعة الجمال هذا الصباح يا (هويدا) .

تضرج وجهها خجلاً ، وهى تهمس فى سعادة :

ـ هل أعجبتك حقًّا ؟

تطلع إلى عينيها فى حبّ ، وقال :

ـ إنك لم تعجبينى فحسب ، لقد خلبت لبى .

أطلقت ضحكة رقيقة مرحة خجلى ، وغمغمت :

ـ أعتقد أنها أجمل تحية صباح سمعتها فى حياتى .

فتح فمه ليهمس بكلمة حبّ أخرى ، ولكن رنين الهاتف أوقف الكلمات قبل أن تصل إلى شفتيه ، فابتسم وقال :

- معذرة يا حبيبتى .. العمل لا يحتمل الانتظار .

ضحكت فى خجل ، وقالت :

- أنت محقّ ، سأذهب أنا إلى حجرتى .

راقبها فى وله وهى تغادر الحجرة فى خطوات سريعة ، ثم التقط سماعة الهاتف ، وقال فى رصانة :

- هنا مكتب مدير العلاقات العامة .

أتاه صوت شقيقه (هانى) يقول فى مرح ، بدا وقعه فى أذنيه عجيباً :

- كيف حالك يا شقيق العزيز ؟ تصوّر أننا لم نعد نلتق منذ عملنا فى شركة واحدة .

ابتسم (طارق) فى طيبة ، وقال :

- ربما يعود ذلك إلى أنك تعود إلى المنزل ، بعد أن أكون أنا قد أويت إلى فراشى .

ضحك (هانى) ضحكة خبيثة ، لم ينتبه لها (طارق) ، ثم قال فى اهتمام :

- هل يمكنك تعيين فتاة أخرى فى قسم العلاقات العامة يا (طارق) ؟

أجابه (طارق) :

- لا أعتقد أننا نحتاج إلى موظفين جدد يا (هانى) .

قال (هانى) وهو يسيطر على أعصابه فى قوة :

- ولكنها فتاة يهمنى أمرها ، ولقد وعدتها بالتعيين .

صمت (طارق) لحظة مفكراً ..

كان يعلم أن قسم العلاقات العامة لا يحتاج حقاً لعاملين جدد ، ولكنه لم يشأ أن يرفض أول مطلب يتقدم به إليه شقيقه فى حياتهما ، فقال فى هدوء :

- ما دمت قد وعدتها ، فلابد لى من التنفيذ يا شقيق العزيز ، اطمئن .. ستحصل على الوظيفة .

بدت لهجة (هانى) مفعمة بالانتصار ، وهو يقول :

- شكراً يا أخى .. شكراً .. سأرسلها لك فوراً ، ولكننى أرجو أن تحسن استقبالها على نحو خاص ؛ إنها تدعى (سمر) .. هل وعيت الاسم ؟

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- لا تخش شيئاً .. إنها لن تشكونى لديك .

انتهت المكالمة بسرعة ، وعاد (طارق) ينهمك فى

عمله ، وهو يتعجل الوقت لإنهاء ما لديه ، حتى يمكنه قضاء بعض الوقت مع (هويدا) ..

كان هذا هو نفس شعور (هويدا) ..

كانت تعمل فى همة ونشاط ، حتى تنهى أعمالها فى سرعة ، وتتفرَّغ له بعض الوقت ..

وفجأة وجدت أمامها (سمر) ..

لم تشعر بدخولها إلى مكتبها ، رأتها فقط أمامها ..

رفعت عينيها تتأمل هذا الجمال الصارخ ، ثم سألتها فى هدوء ...

ـ أية خدمة يا آنسة ؟

تفحصتها (سمر) فى غرور ، ثم قالت بعد لحظة من الصمت :

ـ أريد مقابلة (طارق) .

أدهشها أن تنطق هذه الشقراء باسم (طارق) مجرَّداً ، ولكنها تغاضت عن ذلك وهى تسألها :

ـ هل لديك موعد سابق ؟

أطلقت (سمر) ضحكة عابثة أثارت دهشة (هويدا) ، ثم قالت فى ثقة :

ـ لا عليك ، قولى له إن (سمر) تريد مقابلتـه ، وسيطلب إدخالى إليه فى لحظة .

فجّرت تلك العبارة فيضاً من الشك فى قلب (هويدا)، وعادت العبارة تتكرر فى أعماقها أكثر من مرة ، وهى تحاول أن تفهم معناها الحقيق ، ولكنها رفعت سماعة الهاتف الداخلى ، وانتظرت حتى التقط (طارق) سماعة جهازه فى حجرته ، وقالت فى لهجة رسمية :

ـ هناك آنسة تدعى (سمر) تطلب مقابلتك يا أستاذ (طارق) ، وليس لديها موعد سابق و ....

أدهشها مقاطعته لها ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ دعيها تدخل إلى مكتبى فوراً .

شعرت (هويدا) بنيران الغيرة تشتعل فى قلبها ، ووضعت سماعة الهاتف ، وهى تعود لتأمل جمال (سمر) الفتان ..

أصبحت تراها فجأة غريمة لها ..

غريمة تفوقها جمالا وفتنة ..

كتمت كل ضيقها وغيرتها فى أعماقها ، وهى تشير إلى حجرة (طارق) قائلة :

— تفضلى يا آنسة (سمر) .. إنه بنتظرك .

أطلقت (سمر) ضحكة عابثة أخرى ، وهى تلقى نظرة جانبية مغرورة على (هويدا) ، وقالت فى زهو :

— ألم أقل لك أنه سيدعونى إليه فى لهفة ؟

تأججت نيران الغيرة فى قلب (هويدا) وهى تتابع (سمر) بعينيها ، حتى دخلت مكتب (طارق) ، وأغلقته خلفها ..

انبعثت آلاف الأسئلة وسط فيض من الشك من عقل (هويدا) ..

سألت نفسها ألف مرة عن تكون (سمر) هذه ، وعن سرّ لهفة (طارق) لمقابلتها ..

تصاعدت حيرتها ، وتضاعف قلقها وغضبها ، دون أن يدرى (طارق) عن ذلك شيئاً ..

لقد أحسن استقبال (سمر) فى مكتبه كما وعد شقيقه.

لم يكن يدرى أنه يسهم — دون وعى منه — فى مخطط شيطانى ، يهدف إلى تحطيم تلك العاطفة النبيلة ، التى أينعت بين قلبه وقلب (هويدا) ..

لقد خطت (سمر) إلى مكتبه فى خطوات بطيئة ، وهى تطوّح شعرها الذهبى إلى الخلف ، فى محاولة منها لأسر (طارق) بجمالها الصارخ ..

ولقد لاحظ هو جمالها النادر ، ولكنه لم يتأثر به كما كانت تتوقع هى ..

كان حبه لـ (هويدا) قد ملأ جوارحه ، واحتوى قلبه ، حتى لم يعد يرى من هى أكثر فتنة منها ، على الرغم من جمالها العادى ..

نهض من خلف مكتبه ، وصافح (سمر) فى بساطة أثارت حنقها ، وهو يقول :

— مرحباً يا آنسة (سمر) .. لقد حدثنى (هانى) عنك ، إنك تريدين وظيفة فى قسمنا .. أليس كذلك ؟

رسمت فوق شفتيها أكثر ابتساماتها جاذبية وإغراء ، وألقت بنظراتها من خلف جفنيها المسبلين ، وهى تقول فى صوت ناعم :

— بلى .. ترى هل لديكم عملٌ لى ؟

كادت تتميز غيظاً ، حينما لاحظت أن فتنتها لم تحرّك له جفناً واحداً وهو يسألها :

- ماذا تحملين من مؤهلات يا آنسة (سمر) ؟

أجابته فى عصبية :

- إننى طالبة فى الجامعة الأمريكية .

رفع حاجبيه يقول :

- ستعملين بعقد مؤقت إذن ، حتى تنتهى دراستك .

كرهت منه عدم اهتمامه بجمالها ، وزاد هذا من رغبتها فى خداعه ، فقررت ألا تضيع مزيداً من الوقت ، وقالت :

- أريد أن أتمرّن على أعمال السكرتارية .

تبدت دهشة حقيقية فى ملامحه ، وهو يقول :

- تتمرّنين على أعمال السكرتارية ؟!.. ولماذا لم يلحقك (هانى) بسكرتارية مكتبه إذن ؟

أربكها سؤاله المفاجئ ، ولكن عقلها الشيطانى لم يلبث أن اهتدى إلى إجابة ، فأسرعت تقول :

- لقد طلبت أنا العمل فى سكرتارية قسم العلاقات العامة ، فهو لديه ثلاث سكرتيرات ، وهذا القسم أنشط أقسام الشركة .

هزّ كتفيه ، وكأن هذه الإجابة لم تقنعه ، ولكنه عاد يمط شفتيه ، قائلاً :

- لا بأس .. متى تريدين بدء العمل ؟

أجابته فى سرعة :

- اليوم .

رفع حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يخفضهما ، وابتسم وهو يقول :

- يبدو أنك مليئة بالنشاط يا آنسة (سمر) .

رفعت أحد حاجبيها ، وقالت فى خبث :

- أعتقد ذلك ، فأنا أحب ما يسند إلىّ بسرعة ، ونجاح .

ضحك وهو يقول :

- هذا شعار قسم العلاقات العامة هنا .

ثم مدّ يده إلى سماعة الهاتف الداخلى، وهو يستطرد :

- سأخبر (هويدا) و ....

قاطعته فى لهفة :

- دعنى أخبرها أنا .

تطلع إليها فى دهشة ، وخشيت هى أن تثير لهفتها شكوكه ، فأسرعت تردف وهى تبتسم فى إغراء :

ـ حتى يمكننى اكتساب صداقتها منذ البداية على الأقل .

أعاد يده إلى جواره ، وابتسم قائلاً :

ـ حسناً .. لك هذا .

نهضت تصافحه بكفها البضّة، وهى تقول فى نعومة:

ـ لست أدرى كيف أشكرك .

أرادت أن تترك كفها فى يده بعض الوقت ، ولكنه تركها فى سرعة وهو يقول :

ـ لا عليك يا آنسة (سمر) ، إنها رغبة شقيقى الوحيد، وهو الذى يستحق الشكر لا أنا .

أحنقها بروده فى معاملتها ، وعدم اهتمامه بجمالها الذى يفتن الجميع ، فتحرّكت نحو باب حجرته ، ثم فتحته ، وتعمدت تركه مفتوحاً وهى تستدير إليه ، قائلة فى صوت موسيقى عذب :

ـ شكراً جزيلاً يا (طارق) .

تعمدت نطق اسمه مجرداً من الألقاب ، وفى دلال

يوحى بوجود صداقة قديمة بينهما ، ثم أغلقت الباب ، والتفتت إلى (هويدا) فى شماتة ...

تألقت عيناها ببريق الظفر ، وهى تتأمل وجه (هويدا) الشاحب ..

أدركت أن الجزء الأول من خطتها قد نجح تماماً ..

أو بمعنى أصح ، هو الجزء الأول من الخطة ، التى وضعها (هانى) ، والتى تقوم هى بأداء دور البطولة فيها..

كانت (هويدا) تحدّق فى وجهها ، والتساؤلات تكاد تحفر نفسها فى ملامحها ..

مالت نحوها (سمر) ، وقالت فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ تهانئى يا عزيزتى ، سأشاركك الحجرة نفسها منذ اليوم .

اتسعت عينا (هويدا) ، وهى تهمس فى دهشة :

ـ الحجرة نفسها .

ابتسمت (سمر) ، وقالت :

ـ نعم يا عزيزتى ، سأصبح السكرتيرة الثانية لعزيزى (طارق) .

ازداد شحوب وجه (هويدا) ، وهى تغمغم :

ـ عزيزك (طارق) ؟!

أدركت (سمر) ، بغريزتها الشيطانية ، أن لحظة الانتقال إلى الجزء الثانى من الخطة قد حانت ..

أدركت أن هذه هى اللحظة المناسبة للطرق على الحديد وهو ساخن ، فمالت نحو (هويدا) ، وقالت فى صوت أقرب إلى الخفوت :

ـ عجباً !!.. ألا تعلمين من أنا ؟..

تحوّلت لهجتها إلى مزيج من الزهو والشماتة ، وهى تستطرد :

ـ أنا أول حبّ لـ (طارق النقراشى) .. وآخر حبّ .

• • •



٨ ـ الوحش ..

انطلقت ضحكة رنانة ، أثارت استياء روّاد ذلك الكازينو الصغير فى منطقة الأهرامات ، على حين لم يبال صاحبها بأثر ضحكته المنافية للذوق ، وهو يميل نحو مرافقته الحسناء ، ويسألها فى مرح وشغف :

ـ إذن فقد أخبرتها أنك حبه الأول والأخير .. ماذا فعلت وقتئذ ؟

كان المتحدث هو (هانى النقراشى) ، الذى شعر بلذة عارمة ، وهو يستمع إلى ما فعلته (سمر) ..

إنه كما سبق أن قلنا يتلذذ بعذاب الآخرين ..

كذلك كانت (سمر) ، التى رفعت إحدى حاجبيها ، وقالت فى خبث :

ـ كادت تسقط من فوق مكتبها ، مصابة بالسكتة القلبية .

ضحك (هانى) مرة أخرى فى مرح ، وعاد يسألها فى لهفة :

ـ ماذا فعلت حينذاك ؟

غمزت بعينيها ، وقالت :

– سردت لها تلك القصة التى لقنتنى إياها ، عن حب جارف قديم بينى وبين شقيقك ، وقلت لها إننا كنا قد اختلفنا معاً منذ ما يقرب من الشهر ، وافترقنا طوال هذه المدة ، ولكننى لم أحتمل فراقه ، فعدت إليه مستسلمة ، وأنه استقبلنى فى لهفة لا تقل عن لهفتى .

برقت عيناه كوحش مفترس ، تثيره رائحة الدماء ، وقال :

– ماذا فعلت ؟

ضحكت (سمر) ، وقالت :

– كادت تنفجر بالبكاء ، ولكنها تماسكت ، وحملت حقيبتها ، ورحلت ، وطلبت منى أن أخبر (طارق) أنها قد انصرفت لتعب مفاجئ ألمّ بها .

فرك (هانى) كفيه فى سعادة ، وقال :

– هذا عظيم .. إنها لن تحتمل جولة أخرى ، ستسقط بالضربة القاضية فى الجولة القادمة .

سألته وهى تتناول رشفة من كوب عصير الليمون :

– إنك لم تخبرنى بعد ، ماذا أفعل فى المرة القادمة .

ابتسم على نحو وحشىّ ، وقال :

– سأخبرك بما تفعلينه يا جميلة ، ولكنك هذه المرة ستكونين عضواً فى فرقة مسرحية كاملة .

استمعت (سمر) إلى خطته الوحشية فى إمعان ودهشة ، ثم هتفت فى إعجاب ينتاب الوحوش المفترسة عادة ، حينما ترى أحدها يمزّق فريسته فى فن :

– يا لك من داهية !! إنك تثير خوفى !!

(هاشم النقراشى) نفسه اعترف لابنه بالدهاء وسعة الحيلة ، وهو يستمع إلى خطته ، وهتف فى إعجاب ، وهو يربّت على كتف وحشه الصغير :

– أنت ابنى حقّاً ، لقد ورثت عنى البراعة ، وإتقان العمل .

ابتسم (هانى) فى خيلاء وخبث ، وهو يقول :

– أنت توافق إذن على القيام بدورك فى الجولة الأخيرة يا أبتاه .

نفث (هاشم) دخان سيجاره الفاخر ، وقال :

– ولِمَ لا .. لقد وضعت أنت خطة ما كنت لأضع أحسن منها .

برقت عينا (هانى) ببريق سادىّ ، وهو يقول :

– عليك إذن إبعاد (طارق) عن القاهرة .

أومأ (هاشم) برأسه موافقاً ، وقال :

– بلا شك .

ثم فتح باب مكتبه ، وطلب من أحد خدمه استدعاء ابنه (طارق) .. ولم تكد تمضى لحظات ، حتى حضر (طارق) واضح القلق والحيرة ..

لم يكن استدعاء والده له مبعث قلقه وحيرته ..

كان قلقه على (هويدا) ، التى انصرفت دون أن تخبره بسبب انصرافها ..

أقلقه أنها تعللت بتعب مفاجئ ..

حاول أن يقابلها فى منزلها ولكنه لم يجدها ، مما أورثه مزيداً من القلق والحيرة ..

فاجأه والده بقوله :

– أريدك أن تسافر الآن إلى بورسعيد يا (طارق) .

غمغم (طارق) فى دهشة :

– بورسعيد ؟! .. الآن ؟!

أجابه والده فى حزم :

– نعم .. ستذهب لمراجعة ملفات فرع الشركة هناك .

عقد (طارق) حاجبيه ، قائلاً :

– ولِمَ لا يذهب (هانى) ؟

قال الوالد فى غضب مصطنع :

– إننى أحتاج إلى (هانى) هنا لأعمال أخرى ،ولقد اخترتك لهذه المهمة .

تردد (طارق) لحظة ، ثم قال :

– حسناً يا والدى ، سأذهب فى الصباح الباكر ، و....

قاطعه والده فى حدة :

– بل الآن ، وسيقلك الأسطى (حسن) على الفور ، أريده تفتيشاً مفاجئاً وأريدك أن تراجع كل ملفات الشركة .

كان الوالد يعلم أن هذا العمل لن يستغرق أقل من ثلاثة أيام ، وكانت خطة (هانى) الشيطانية تحتاج إلى يوم واحد ، ولم يستطع (طارق) الاعتراض ، كل ما دار

بذهنه فى هذه اللحظة هو أنه يستطيع الاطمئنان على صحة (هويدا) تليفونيًا من بورسعيد ، سيتصل بالشركة هاتفيًا فى موعد وصولها ، وسيهرع إلى القاهرة لو علم أنها لم تحضر فى اليوم التالى أيضاً ..

أراحته الفكرة، حتى أنه استسلم لقرار والده، ولم تكد سيارة الأسطى (حسن) تقله إلى طريق بورسعيد ، حتى ارتسمت ابتسامة الظفر على شفتى كل من الوالد والشقيق ، وقال (هانى) فى فرح شيطانى :

– بقى أن يتم منع وصول المكالمات إلى قسم العلاقات العامة غداً ، ثم تقوم (سمر) بدورها .

عاد (هاشم) يربّت على كتف ابنه ، قائلاً فى سعادة :

– الآن فقط اطمأننت على مصير شركاتى من بعدى .

ثم أردف وهو يرمق ابنه بنظرة تفيض إعجاباً :

– أنت وحدك خليفة (هاشم النقراشى) .

بات الأب والشقيق ليلتهما فى سعادة وهناءة ..

وباتت (هويدا) ليلتها على جمر النار ..

بدا لها فراشها فى تلك الليلة كجب ملتهب من نار الجحيم ..

لم تراودها الكوابيس ..

لم تراودها الأحلام المفزعة ..

ببساطة لأنها لم تنم ..

سالت دموعها أنهاراً ، دون أن تطفئ نار الحزن والعذاب فى أعماقها ..

لقد غادرت الشركة وهى لا تكاد ترى الطريق ، من فرط ما امتلأت عيناها بالدموع ..

لم تفكر فى العودة إلى منزلها ..

شىء ما منعها من العودة إليه ..

ربما لأنها كانت تتحاشى العودة إلى المكان الذى شهد لقاءهما الأول ..

أو ربما هو عبث القدر ، الذى يهوى دائماً اللهو بقلوب المحبين .

فلو أنها ذهبت إلى منزلها فوراً لحق بها (طارق) ..

لو أنها فعلت لفشلت خطة (هانى) الوحشية ..

ولكن القدر أبى أن تفعل ..

أخذت تهيم على وجهها فى شوارع القاهرة بلا هدف، حتى قادتها قدماها إلى قبر شقيقها الراحل ..

بكت أمام قبره طويلاً ، وغزيراً ..

وعادت إلى منزلهـا فى اللحظة نفسها التى غادر فيها (طارق) منزله إلى بورسعيد ..

يا لعبث الأقدار !!

بالأمس كانت ترقص فرحاً كفراشة سعيدة .. واليوم ترقص ألماً كطير ذبيح ..

شتان ما بين رقص ورقص ..

لم تكد تصل إلى منزلها حتى انتزعت ثوبها الأصفر الأنيق ، وألقته بعيداً فى حنق ، وعادت ترتدى ثوبها الأسود ، ثم ارتمت فوق فراشها تذرف الدموع ..

وإلى جوار زهور الحبّ التى أينعت فى قلبها ، عادت تنبت بذرة الكراهية ، أشواك الانتقام ..

تساءلت فى حقد: كيف خدعها (طارق) كل هذا الوقت ؟..

كيف زيّف كل هذا الحنان والحب والعطف ؟..

عادت زهور الحب تحجب الشك الذى يروى بذور الكراهية ، وتهتف :

ـ كلاً .. هذا الحنان الذى يمس شغاف القلب ليس

زائف.. هذا الحب الذى ترتوى به القلوب ليس بمخادع.. هذا العطف الذى يملأ الوجدان ليس زائفاً ..

دار صراع صامت بين قلبهـا وعقلها .. ومع كل لحظة من لحظات هذا السباق كانت تذرف الدمع غزيراً ، وتتقلب فى فراشها كالمحمومة ..

وفجأة برزت فى رأسها شكوك جديدة ..

ما أدراها أن قصة هذه الشقراء (سمر) صحيحة ؟..

ما أدراها أن كل كلمة نطقت بها صواباً ؟..

أسرع قلبها يلتمس لحبيبها عشرات الأعذار ..

ربما كانت كل هذه القصة زيفاً ، اختلقته (سمر) ، لتوحى بأهميتها فى الشركة ..

ربما أنها هى وحدها التى تتصوّر قصة الحبّ هذه ..

شعرت (هويدا) بخطئها، لأنها لم تنتظر وتسأل (طارق) عن حقيقة القصة ..

انتابها الندم وهى تكتشف خطأها هذا ..

لقد أسرعت تفرّ من الموقف دون أن تواجهه ..

إنه إنسان شريف ، وسيخبرها بالحقيقة كلهـا لو واجهته ..

هنا فقط بدأ الارتياح يتسلل إلى قلبها ..

هنا فقط أسبلت جفونها للنوم ..

عادت بذرة الكراهية تنزوى ، وتذبل إلى جوار زهور الحبّ ..

نامت ؛ لأنها كانت تتمنى مقدم الصباح ..

وفى الصباح ترددت طويلاً بين ارتداء ثوبها الأسود، أو آخر زيتونى اللون ..

وأخيراً انتصرت رغبتها فى إبراز جمالها ، فأسرعت ترتدى الثوب الزيتونى ، ولكنها لم تضع من زينتها إلا ما يكفى لإبراز بعض الفتنة فى شفتيها وعينيها ، وذهبت إلى العمل ..

صعدت فى درجات السلم ببطء ، وكأنها تؤجل لحظة مواجهته ، وتوقفت لحظة أمام باب حجرتها المفضية إلى حجرته ، ثم دفعت الباب ، ودخلت فى ثبات ..

توقفت فى دهشة ، حينما وقع بصرها على وجه (سمر) ..

لم تدر كيف نسيت فى غمرة قلقها أن هذه الشقراء ستشاركها حجرتها ..

شعرت فجأة بكراهية شديدة تجاه (سمر) ، ولكنها أخفت مشاعرها وهى ترفع كفها بالتحية ، قائلة :

ـ صباح الخير يا آنسة (سمر) .

ثم توجهت فى خطوات سريعة إلى الباب الذى يفصل مكتبها عن مكتب (طارق) ، وأمسكت مقبض الباب بالفعل ، عندما قالت (سمر) فى برود :

ـ إنه ليس هناك .

التفتت إليها فى دهشة ، وكرّرت وهى تلقى نظرة على ساعتها :

ـ ليس هناك ؟!.. إنه يصل عادة فى الثامنة والنصف .

ارتسمت ابتسامة شامتة على شفتى (سمر) ، وهى تقول :

ـ لقد طال سهرنا أمس ، ولا أعتقد أنه يقدر على الاستيقاظ مبكراً هكذا .

وجدت (هويدا) نفسها ترتمى على مقعدها ، وتغمغم فى شحوب :

ـ سهركما ؟!

أزاحت (سمر) شعرها الذهبيّ بيدها ، وكأنها تتباهى بجمالها الفتان ، وقالت فى لهجة تفيض غروراً :

– لقد أصرّ على أن نحتفل بعودة حبنا ، ولقد كان حفلاً طريفاً فى منزله .

ثم أطلقت ضحكة مغرورة قصيرة ، وتابعت :

– ولكنه متعجل للغاية .

صوّبت عينيها إلى عينى (هويدا) مباشرة ، وأردفت فى لهجة استفزازية :

– لقد طلب الزواج منى .

خيّل لـ (هويدا) أن قلبها سيتوقف عن النبض ، وأن صوتها جاء شاحباً ، لا تكاد تلتقطه الآذان ، وهى تغمغم :

– الزواج منك ؟!

عادت (سمر) تطلق تلك الضحكة الصغيرة المغرورة ، وقالت :

– نعم .. ولقد وافق والده (هاشم) بك فوراً ، وحدد بالفعل موعد زفافنا .

كادت (هويدا) تبكى وهى تستمع إلى (سمر) ، التى تابعت فى غرور :

– سيتم زفافنا فى الخميس القادم .

دارت الحجرة فى عينى (هويدا) ، حتى أنها تشبثت بحافة مكتبها ، كى لا تفقد الوعى ..

كادت تسقط فى غيبوبة طويلة ، لولا أن دخل إلى حجرتها فجأة (هاشم النقراشى) ..

تجاهلها (هاشم) تماماً ، وهو يصافح (سمر) فى مرح ، قائلاً :

– مرحباً بزوجة ابنى المقبلة .

زوجة ابنه ؟!..

إذن فكل هذا صحيح ..

لقد باعها (طارق) ، وتخلى عنها بلا تردد أو تفكير ..

لا ريب أنه فضّل عدم الحضور ، حتى لا يواجهها بنذالته ..

أفاقت من أفكارها على صوت (سمر) تقول :

– ما رأيك فى بطاقة الدعوة يا (هويدا) ؟

تنبهت (هويدا) فجأة ، إلى أن (هاشم) قد غادر المكتب ..

غادره فجأة كما اقتحمه ..

وأمالت هى عينيها تقرأ الكلمات الأنيقة ، المصفوفة بحروف مذهبة فوق بطاقة من الحرير المطبوع ..

لم تكد تقرأ الكلمات الأولى ، حتى أظلمت الدنيا أمام عينيها ..

كانت الكلمات الأنيقة تدعو لحفل زفاف (طارق) و (سمر) ..

تدعو للذبح الحب الأول فى حياة (هويدا) على مذبح الخيانة الوحشى .

* * *

٩ ـ بحر الانتقام ..

عجز (طارق) تماماً عن أداء العمل الذى أسنده إليه والده ..

شغله قلقه البالغ على (هويدا) ..

حاول الاتصال بالشركة ، والاطمئنان عليها أكثر من مرة ، ولكن الاتصال بقسم العلاقات العامة بدا وكأنه مستحيل فى ذلك اليوم ..

ضاعف هذا من قلقه ، حتى أنه اتخذ قراره بالعودة فى العاشرة مساء ، ووصل إلى القاهرة فى الثانية عشرة عند منتصف الليل ..

أراد أن يذهب إلى منزلها مباشرة ، ولكنه خشى أن يسيء لسمعتها بالذهاب إليها فى مثل هذا الوقت المتأخر ، فتوجه إلى منزله ، والقلق ينهشه نهشاً ..

لم تثر عودته المفاجئة دهشة والده أو شقيقه ، فقد كانا يتوقعان ذلك لمعرفتهما طبيعته الحنون المتفانية ، ولكن هذا لم يمنع والده من التظاهر بالدهشة ، وهو يسأله عن

سبب عودته المبكرة هذه ، ولكنه اكتفى باعتذار واهٍ من ابنه ، وصعد إلى غرفته لينام هانئاً ، بعد نجاح تلك الخطة الشيطانية ..

أما (هانى) فقد بالغ فى ترحابه بأخيه ، ثم قال فى لا مبالاة مزيفة ، وكأنه يقص أمراً لا يعنيه كثيراً :

– بالمناسبة يا (طارق) .. لقد قدمت سكرتيرتك استقالتها .

هبط الخبر على (طارق) كالصاعقة ، وهو يهتف :

– استقالت ؟! .. هل تقصد (هويدا) ؟

أومأ (هانى) برأسه فى لا مبالاة ، فسأله (طارق) فى غضب :

– من منكما أجبرها على الاستقالة ؟

هتف (هانى) فى دهشة مصطنعة :

– أجبرها ؟! .. ماذا تعنى بهذا العبث ؟ .. لقد استقالت لتتزوج .

شعر (طارق) أن قدميه تعجزان عن حمله ، فتهاوى فوق أقرب المقاعد إليه ، وغمغم فى شحوب :

– تتزوج ؟!

لوّح (هانى) بكفه فى حركة مسرحية ، ثم دسّ يده فى جيب سترته ، وانتزع منها بطاقة أنيقة ناولها لـ (طارق) وهو يقول :

– نعم يا أخى ، ولقد طلبت منى أن أعطيك هذه الدعوة لزفافها .

اختطف (طارق) البطاقة من يد شقيقه ، وقرأها فى لهفة ، ثم عجزت أصابعه عن الاحتفاظ بها ، فتركها تفلت من يده ، وتتوسد أرض الحجرة ، ودفن وجهه بين كفيه ، وهو يغمغم فى غضب وألم :

– يا لها من خائنة !! يا لها من خائنة !!

تظاهر (هانى) بالجزع ، وانحنى يربّت على كتف شقيقه ، قائلاً :

– يا للمسكين !! هل كنت تحبها ؟

تألق الغضب فى عينى (طارق) ، وهو يقول :

– لم أعد كذلك يا (هانى) .. لم أعد كذلك .

قال هذا وهو يظن أنه لم يعد حقًّا يحبها ..

هى أيضاً كانت تظنّ أنها لم تعد تحبه ..

كانت تشتعل بالغضب والكراهية فى ذلك اليوم ..

ذبلت زهور الحبّ فى قلبها فجأة ، وأينعت بذور الكراهية والانتقام حتى صارت بحراً ، تتلاطم فيه أمواج الحقد والغضب ..

لم تعد إلى منزلها بعد أن قدمت استقالتها فى ذلك اليوم .

ذهبت مباشرة إلى ذلك القبر ، الذى يضم رفات والدها وشقيقها ..

جلست أمامه صامتة ، منكسة الرأس ، تشعر بالخزى والعار ..

لم تبك فى هذا اليوم ..

اختزنت دموعها فى أعماقها لتجعل منها وقوداً ، يزيد من اشتعال نار الكراهية فى أعماقها ..

خيل إليها أنها تسمع صوت شقيقها الراحل يعاتبها ، قائلاً :

ـ لقد أهدرت دمى من أجل حبّ زائف يا أختاه .

هتفت تدافع عن نفسها :

ـ لم أكن أعلم أنه حبٌّ زائف ، تصوّرته قلباً حانياً ..

ـ الثمن المرتفع لا يبرر بيعى أيضاً .

ـ لم يحتمل قلبى حبًّا وكراهية فى آن واحد .

ـ بعت دمى من أجل الحبّ إذن .

ـ كنت أبحث عن الأمان .

ـ وأنا ؟!.. هل نسيتنى ؟!

ـ محال أن أنساك ، ولكن للحياة قوانينها .

ـ قانونها الأول هو أن ننسى من غادرها .. أليس كذلك ؟

ـ إنك تظلمنى .

ـ بل أنت تظلمينى بإهدارك دمى .

أفاقت فجأة من ذلك الحديث الوهمى ، لتكتشف أن الشمس قد قاربت على المغيب ..

اكتشفت أنها تجلس وحدها فى منطقة المقابر ..

نهضت فى بطء ، ولملمت حاجاتها ، وألقت نظرة أخيرة على القبر ، وغمغمت فى حزم :

ـ سأنتقم لك يا (محمد) ، لن تذهب دماؤك هدراً .

وفجأة ارتعدت خوفاً ، حينما سمعت صوتاً أجشّ يقول :

– هل تبحثين عن النسيان والسلوى ؟

استدارت فى ذعر إلى مصدر الصوت ، فوقع بصرها على رجـل بغيض الملامح ، يلوّح أمام وجههـا بورقة صغيرة ، تلتف حول مادة لدنة ، ويستطرد :

– لدىّ هنا ما ينسى الإنسان آلامه .

كادت تصرخ خوفاً ، ولكنها فهمت فجأة ما يعنيه الرجل ، وفهمت ما تحويه تلك اللفافة الورقية الصغيرة ..

أطلقت بذور الكراهية فى رأسها فجأة بريقاً عجيباً ..

أو هو شيطان الانتقام ، الذى وجدها فرصة سانحة للاستزادة من مريديه ، فهمس فى أذنها بفحيح بجمـل خطته القاسية ..

تألقت عيناها ببريق بحر الانتقام المتلاطم فى أعماقها ، ومنحتها الكراهية قوة وثباتاً ، حتى أنها سألت الرجل دون أن ترتجف :

– ليس لدىّ ما يكفى من المال فى الوقت الحالى ، هل يمكننى الحصول على كمية كبيرة فى الغد .

ابتسم الرجل ابتسامة بغيضة ، كشفت عن صف من أسنان قذرة ملوثة ، وقال :

– بلا شك ، اسألى فقط عن (حمودة) .

ابتسمت وهى تقول :

– غداً فى الثانية عشرةً ظهراً .

أومأ برأسه موافقاً ، ثم أسرع يبتعد بحثاً عن زبون جديد ، على حين تحوّلت ابتسامتها إلى فيض من الكراهية وهى تقول :

– غداً تدفع حريتك ثمناً لدماء أخى أيها القاتل .

لم تنم فى تلك الليلة أيضاً ..

قضت ليلتها تجمع ما يمكن بيعه من ممتلكاتها ..

حُلىّ والدتها .. بعض التحف القديمة .. كل ما يمكن بيعه ..

ولم تكد عقارب الساعة تعلن تمام العاشرة والنصف صباحاً ، حتى كانت قد باعت كل ذلك بثمن يبلغ

الألف جنيه تقريباً ، ثم هرعت إلى المقابر ، وفى الثانية عشرة تماماً برز (حمودة) فجأة ، وكأنما نبت من العدم ، ولم تكد تخبره عن المبلغ الذى تود شراء هذه السموم به ، حتى أطلق صفيراً خافتاً ، ثم ناولها لفافة متوسطة الحجم تحوى المخدر ، وتناول المبلغ ، وعاد يختفى وسط شواهد القبور كالشبح .

أسرعت هى عائدة إلى منزلها ، وهى تكاد تطير فرحاً ..

لقد عاونها القدر على الحصول على السلاح الذى تحطم به (هاشم النقراشى) وعائلته ..

بقى أن تحسن وضع الخطة التى تكفل لها النصر ..

أودعت المخدرات حقيبة صغيرة فى منزلها ، وجلست تدرس الخطة ، التى وضعتها هناك فى المقابر ، وتحاول سد ما بها من ثغرات ، حتى شعرت أن خطتها قد اكتملت ، فارتدت ثوبها الأسود المحتشم ، وغادرت منزلها وهى تنوى الاستمرار فى خطتها حتى النهاية ..

ترددت لحظة أمام قسم مكافحة المخدرات فى مديرية الأمن ، ثم لم تلبث أن حسمت رأيها ، وطرقت بابه ..

سمعت صوتاً يدعوها للدخول ، فدلفت إلى الحجرة ، قبل أن تتراجع فيما حسمت أمرها عليه ..

قابلها ضابط شاب فى ترحاب ، ودعاها للجلوس ، ثم سألها فى أسلوب مهذب :

ـ ماذا لديك يا آنسة ؟

منحتها الرغبة فى الانتقام قدرة على أداء دورها فى براعة ، وهى تقول فى صوت مرتجف :

ـ أريد أن أبلغ عن شخص يتجر فى المخدرات .

أولاها الضابط الشاب اهتماماً بالغاً ، وهو يسألها :

ـ كيف عرفت ذلك ؟

قالت وهى تواصل تمثيل دور المرتجفة الخائفة :

ـ إنه يحاول إجبارى على الاشتراك معه فى هذا العمل البغيض ، ولقد أحضر إلى منزلى بالفعل حقيبة صغيرة تحوى بعض هذه السموم ، ولكننى أخبرته رفضى التام ، وطلبت منه الحضور إلى منزلى فى منتصف ليل اليوم ليأخذ سمومه ، ولكننى أخشى أن يحاول التخلص منى .

عقد الضابط الشاب حاجبيه ، وسألها فى حماس :

– لن يجرؤ على ذلك ، سنلقى القبض عليه قبلها .

ثم مال نحوها يسألها فى اهتمام :

– ما اسمه ؟ وماذا يعمل ؟

تظاهرت بأن الخوف قد بلغ منها مبلغه وهى تقول :

– أخشى ألا يمكنكم إلقاء القبض عليه .. إنه ابن شخصية هامة وكبيرة .

ظهر القلق فى ملامح الضابط الشاب ، وهو يسألها :

– ابن من هذا ؟

رفعت عينيها إلى وجهه ، لترقب أثر كلماتها فى ملامحه ، وقالت فى بطء :

– ابن (هاشم النقراشى) .

ظهر الجزع على وجه الضابط الشاب ، وتراجع فى مقعده وهو يغمغم :

– هل أنت واثقة ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

– ألم أقل لك إنكم لن تستطيعوا إلقاء القبض عليه ؟

انتابت الضابط الشاب موجة من الحماس المفاجئ ، وقال :

– لا أحد فوق القانون يا آنستى ، لو أننا ضبطناه متلبساً ، فسنلقى القبض عليه أيًّا كان وضعه الاجتماعى .

عاد بريق الانتقام يتألق فى عينيها وهى تغمغم :

– صدقنى .. هذا ما أتمناه .

* * *



١٠ ـ خطوة فخطوة ..

أشارت عقارب الساعة إلى الخامسة عصراً ، عندما ارتفع رنين الهاتف فى مكتب (هانى النقراشى) ، فالتقط سماعة الهاتف ، وقال فى صرامة :

ـ من المتحدث ؟

ارتفع حاجباه فى دهشة ، حينما أتاه صوت المتحدث من الجانب الآخر ، يقول :

ـ أنا (هويدا) .

كادت سماعة الهاتف تفلت من يده ، وهو يقول فى خوف :

ـ (هويدا) من ؟!

أجابته فى لهجة ساخرة :

ـ لا تخش شيئاً يا (هانى) بك .. أنت تعلم جيداً من أنا ، وتعلم الكراهية المتبادلة بيننا ، ولكننى أريد إنهاء هذا الصراع الخفى تماماً ..

من العجيب أن هـذا الشيطان الآدمى ، الذى يضع

عقله أشد الخطط الوحشية شرًّا ، لم يكن ليتحمل مواجهة خصمه ، ولو هاتفيًّا ..

ومن العجيب أنه كان يرهب تلك الفتاة التى سعى لتحطيمها ، حتى أن صوته ارتجف وهو يسألها :

ـ ماذا تريدين يا آنسة (هويدا) ؟

أجابته فى هدوء :

ـ خمسة آلاف جنيه يا (هانى) بك ، وأريدك أن تحضرها بنفسك إلى منزلى فى منتصف الليل تماماً .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـ ولماذا أدفع المبلغ يا آنسة (هويدا) ؟

أجابته فى صرامة :

ـ ستدفعه حتى أبتعـد تماماً عن طريقك ، وأنسى ما فعلته بأختى .

بلغ خوفه مبلغه ، فغمغم فى شحوب :

ـ حسناً يا آنسة (هويدا) ، خمسة آلاف فى منزلك عند منتصف الليل .

أنهى المحادثة فى سرعة ، وجلس يجفف عرقاً وهمياً على جبينه فى توتر ..

لم يدر لِمَ أثارت هذه الفتاة الصغيرة الرقيقة كل هذا الخوف فى أعماقه ..

ربما لثقته فى أنها صاحبة الحق ..

أو ربما لأنه لم يكن يستطيع إنكار جريمته فى حقها ..

قد يمنعه غروره وأنانيته من الاعتراف بهذا الخطأ ، ولكن عقله الباطن لم يكن يجرؤ على الإنكار ..

راوده خاطر فى أن يرفض منحها المبلغ ، ولكن خوفه لم يلبث أن عاوده ، فدفعه دفعاً إلى الاستسلام لرغبتها ..

عاد إلى منزله وهو يترنح من شدة الخوف والقلق ..

خشى أن يعلم والده بالأمر ، فيسخر منه ، ويتهمه بالجبن والتخاذل ..

قرر أن يدفع المبلغ دون العودة لوالده ، لكنه لم يكن يستطيع الحصول عليه فى تلك الليلة ؛ لذا فقد قرر زيارتها فى الموعد المحدد ، ليطلب منها منحه مهلة أخرى حتى الغد ..

تصاعد غضبه فى بعض اللحظات بسبب خوفه منها ، ولكن هذا الخوف نفسه كان يعود فيجبره على الطاعة ..

ولكن عقله أبى أن يستسلم لفتاة حطم حبها بذكائه ..

بدأ عقله الشيطانى يبحث عن وسيلة أخرى لتحطيمها تماماً ، فلا يعود يشعر بالخوف والقلق منها ..

تلاشى خوفه فجأة ، وهو يتساءل عن سببه ..

عاوده عناده الوحشى ما دام لا يواجهها مباشرة ، وقرر أنه لن يخضع لها ..

لن يدفع لها قرشاً واحداً ، ولتفعل ما تفعل ..

سيطر العناد السادىّ على حواسه ، فمحا منها كل أثر للخوف والرهبة ..

عجيبة هى طبائع ذلك الوحش الآدمى ..

إنها تتأرجح آلاف المرات فى اليوم الواحد ..

وفجأة جاء أحد خدم المنزل يخبره أن فتاة تطلب مقابلته ..

عاد جسده يرتجف ، حينما تصوَّر أنها لم تحتمل الانتظار فسعت إليه فى منزله ..

تهاوى فوق مقعد كبير وهو ينتظر قدومها ، بعـد أن أمر الخادم بإحضارها ..

لم يكد بصره يقع على الفتاة حتى زايله الخوف ، وتنهد فى ارتياح ..

لم تكن سوى (سمر) التى دلفت إلى حجرته ، وأغلقت الباب خلفها ، ثم وقفت تتأمله بابتسامة عريضة :

تملكه مرح مفاجئ ، فهتف :

ـ مرحباً يا (سمر) .. إننى لم أتوقع زيارتك هـذه فى منزلى .

قالت (سمر) فى برود :

ـ عجباً .. كان لابد أن تتوقعها ، ما دامت الخطة قد تكللت بالنجاح ..

عقد حاجبيه وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟

أجابته فى عصبية :

ـ أعنى أنه ما زال هناك حساب لم يغلق بعد فى هذا الشأن .

سألها فى غضب :

ـ أى حساب هذا ؟

برقت عيناها فى شراسة ، وهى تقول :

ـ هل نسيت أى حساب هـذا يا (هانى) بك ؟.. حساب ذلك الدور الذى قمت به فى المسرحية التى أخرجتها أنت .. هل تحبُّ أن أذكرك به ؟

لوَّح بكفه فى حنق ، وقال :

ـ إننى أكره أن يتحدث إلى أحد بهذا الأسلوب .

انحنت أمامه بشكل مسرحى ، وقالت فى سخرية :

ـ حسـناً يا (هانى) بك .. إننى أنحنى أمامك ، وأطلب منك فى كل أدب وخضوع مبلغ خمسة آلاف جنيه .

عقد حاجبيه وهو يقول فى غضب :

ـ خمسة آلاف جنيه ؟ كلكن تطلبن آلاف الجنيهات ، وكأننا نعمل لتمويلكن فقط .

احتقن وجهها غضباً ، واقتربت منه قائلة :

ـ اسمع يا (هانى) .. لقد امتثلت لكل ما طلبته منى ، على الرغم من سخافة ذلك الدور الذى كنت أقوم به ، لقد مثلت دور الباحثة عن عمل ، وبذلت جهـدى كله

لإقناع تلك السخيفة (هويدا) بأنى الحب الأول لشقيقك ، ثم أديت دورى فى براعة ، حتى أقنعتها بأننا سنتزوج فى الخميس القادم ، ولولا هذا ما قدمت استقالتها ، وازاحت عن طريقك .

مط (هانى) شفتيه ، وهو يقول فى غرور :

ـ تظنين أنك صاحبة الفضل الأول فى نجاح الخطة ؟!
هراء .. إن دورك فيها لم يتعد دور الكومبارس يا عزيزتى ، أنا صاحب الفضل فى هذا النجاح ، أنا الذى نجحت فى إبعاد (طارق) ، ومنع مكالماته الهاتفية من الوصول إلى قسم العلاقات العامة فى ذلك اليوم ، وأنا الذى أقنعت صديق صاحب مؤسسة الطباعة بطباعة بطاقة واحدة، تدعو لزفافك بـ (طارق) ، وأخرى تدعو لزفاف (هويدا) باسم وهمى ..

صاحت (سمر) فى غضب :

ـ ولكنك وعدتنى بالمبلغ مقابل هذا الدور الذى أديته.

بدا وكأنه لم يسمع اعتراضها ، وهو يستطرد :

ـ والذى أيضاً قام بدوره فى براعة ، عندما جاء

لزيارتك فى مكتب (هويدا) ، وتحدث إليك بصفتك زوجة ابنه المقبلة ..

انطلقت من بين شفتيه ضحكة شيطانية، وهو يستطرد:

ـ أنا أيضاً قمت بدورى خير قيام ، عندما أعطيت (طارق) بطاقة الدعوة الأخرى .

قاطعته (سمر) ، وهى تسأله فى حدة :

ـ وماذا عن نقودى ؟

استدار يتطلع إليها بنظرة ساخرة ، ثم تناول دفتر شيكاته ، وقال :

ـ ما رأيك فى خمسمائة جنيه ؟

امتقع وجهها وهى تغمغم فى ذهول :

ـ خمسمائة جنيه ؟!

ثم اندفعت تقول فى غضب :

ـ لا تحاول خداعى يا (هانى) ، سأحصل على الآلاف الخمسة ، وإلا أخبرت شقيقك (طارق) بكل شىء .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ خمسمائة جنيه ، أو لا شىء .

صرخت فى غضب :

- سأخبر (طارق) .

مال نحوها ، وسألها فى سخرية :

- بِمَ ستخبرينه ؟!.. بأنك حطمت حبه ؟

ارتبكت لسؤاله ، ولكنها حاولت أن تتماسك وهى تقول :

- سأخبره أنك أنت ووالدك فعلتما ذلك .

أطلق ضحكة ساخرة ، وقال فى غرور :

- هل تظنينه سيصدقك ؟

ثم توجه فى خطوات رصينة إلى باب الحجرة ، وفتحه وهو يتطلع إليها قائلاً :

- هيّا .. اذهبى فاخبريه .

أدهشه الفزع الذى ارتسم على وجهها ، فاستدار إلى حيث تسمّرت عيناها ، ولم يلبث أن تراجع فى ذعر وهو يهتف :

- (طارق) ؟!

* * *



١١ - المواجهة ..

مضت لحظة خالها (هانى) دهراً، وهو يتراجع أمام ذلك الغضب الهائل ، المطل من عينى شقيقه (طارق) ، ثم لم يلبث أن استجمع جزءاً من شجاعته الواهية ، وقال فى توتر واضح :

- ماذا تريد ؟

لم يزد (طارق) على أن قال فى صوت يفيض كراهية وغضباً :

- أيها الحقير .

ارتعد جسد (هانى) ، وهو يواصل تراجعه مغمغماً :

- كيف تجرؤ .... ؟

بدا وكأن هذه العبارة القصيرة ، كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ..

أو أنها كانت العبارة التى ينتظرها غضب (طارق) لينفجر قوياً هادراً ..

اندفع فجأة نحو شقيقه (هانى) ، وحمله من سترته فى

قوة، انطلقت بسببها صرخة فزعة من بين شفتى (سمر) ..

ثم حمله من سترته حملاً ..

لم يعد الوديع وديعاً ..

أضفى عليه الغضب قوة رهيبة مفاجئة ..

معرفته ما تعرّض له من خداع حقير ، وعلى يد شقيقه الوحيد ووالده، حطم فى أعماقه كل المشاعر الطيبة..

لم يترك له سوى الغضب والكراهية ..

أصيب (هانى) بالذهول والرعب ، مع ذلك التحوّل الذى أصاب شقيقه ..

أذهلته تلك النظرة ، التى يجمد لها الدم فى العروق ، والتى تفيض من عينى أخيه ..

ارتجف مع صوت (طارق) الصارم ، وهو يقول:

– لِمَ فعلت ذلك ؟.. لِمَ سعيت إلى تحطيم فتاة بريئة لم تحاول إيذاءك ؟.. لِمَ ارتكبت كل هذه الحقارة ؟ .

صاح (هانى) ، وهو يرتجف خوفاً :

– كنا نحاول حمايتك من خداعها لك يا (طارق) .

صرخ (طارق) :

– خداعها ؟!.. وأين تذهب هذه المسكينة الرقيقة من شياطين مثلكم ؟..

جذب العراك انتباه (هاشم) ، فاندفع إلى حجرة مكتب (هانى)، وهاله أن يقع بصره هناك على(طارق)، وهو يدفع شقيقه أمامه فى غضب ، فى حين انزوت (سمر) فى ركن الحجرة ترتجف فزعاً ، فصرخ (هاشم) فى غضب :

– (طارق) .. هل جننت ؟

استدار (طارق) إلى والده فى غضب ، وهتف :

– لا ريب أننى كذلك ، ما دمت قد احتملت هذا المنزل ، كل تلك السنوات .

صرخ (هاشم) فى دهشة واستنكار :

– (طارق) ! .

لم يبد على وجه (طارق) أنه قد انتبه إلى غضب والده واستنكاره ، فقد واصل فى غضب :

– أى نصر تفخرون به فى تحطيمكم هذه المسكينة ؟..
أى دور قبيح قمتم به ، لهزيمة فتاة لا حول لها ولا قوة ؟

تراجع (هاشم) مشدوهاً أمام ثورة ابنه ..

لم يكن يتصوَّر يوماً أن يتحوَّل ابنه الوديع إلى نمر شرس ، كهذا الذى يراه أمامه ..

إن علاقة (هاشم النقراشي) بولديه علاقة شديدة التعقيد ..

إنه يعلم أن ابنه الأكبر (طارق) إنسان وديع هادئ ، له ضمير حيّ متيقظ ، لا يرضى أبداً بالغش ، أو الخداع أو أى من الوسائل التى تتنافى والشرف ..

أما ابنه الأصغر (هانى) ، فقد أتى صورة منه ..

إنه مغرور أنانى ، لا يتورَّع عن ارتكاب أى شىء فى سبيل الحصول عما يرغب ..

وكان (هاشم) طيلة حياته ، يعامل كلاً من ولديه بأسلوب يختلف تماماً عن معاملته للآخر ..

كان يحرص دائماً على إخفاء كل وسائله غير الشريفة عن (طارق) ..

كان يبذل جهداً كبيراً ، حتى يبدو شريفاً أميناً فى عينى ولده الأكبر ..

ولكن هذا لم يكن يشغل باله مطلقاً فى علاقته بـ (هانى) ..

كانت علاقته بابنه الأصغر واضحة ، لا مواربة فيها.

كان (هانى) هو الأقرب إلى قلبه ، فهو يشعر فى محبته بالارتياح والطبيعية ..

ولكنه كان فى أعماقه يخشى (طارق) ، ويتجنبه ..

ربما كان هذا ما يدفعه دائماً إلى محاولة فرض سيطرته على (طارق) ..

وكانت طبيعة (طارق) الطيبة الهادئة تعاونه على ذلك ..

ولكنه اليوم يجد نفسه فى موقف عسير أمام ابنه الأكبر ..

ولم يمنعه هذا من أن يحاول مواصلة فرض سيطرته ، وهو يقول :

– ماذا أصابك يا (طارق) ؟.. لم يحدث فى عائلتنا كلها أن تطاول ابن على أبيه بهذه الصُّورة .

صرخ (طارق) فى استنكار :

– عائلتنا ؟!.. يا للعار !! أى عائلة هذه ؟.. أى دماء شيطانية تجرى فى عروق عائلة يستبيح أفرادها

دماء الآخرين ؟ أى عار أحمله بالانتساب إلى مثل هذه العائلة ؟

أصابت هذه الكلمات (هاشم) فى الصميم ..

مزّق (طارق) قلبه فى لحظة ثورته ..

حطم غروره ، وكبرياءه ، وسطوته بسيف اخترق ستار الزيف ، وأبرز الحقيقة المخجلة بلا تردد أو خوف ..

انهار ذلك البرج العاجى الضخم ، الذى يجلس فوقه (هاشم) ، والذى قضى عمره كله فى بنائه ودعمه ..

شعر (هاشم) فى لحظة أنه أصبح أصغر من ابنه ..

شعر أنه لم يعد ذلك العملاق ، الذى تعرف مصر كلها مدى سطوته وقوته ..

تداعت عظمته كلها ، حينما شعر أنه فقد صورته فى نظر ابنه ..

لم يستطع الاحتفاظ بمظهره القاسى ..

تحوّل صوته إلى ما يشبه الرجاء ، وهو يهمس :

ـ لا تقل هذا يا (طارق) .

اتسعت عينا (هانى) ذهولا ، وهو يرى ذلك التحوّل الذى أصاب والده ..

يا لها من ليلة ، قلّ أن يجود الزمان بمثلها فى كل جيل ..

ليلة تحول فيها الحمل الوديع إلى وحش كاسر يموج بالغضب ..

ليلة صار فيها الوحش أباً حانياً يفيض بالألم والخجل ..

ازداد التخاذل فى صوت (هاشم) ، وهو يتضرّع إلى ابنه مغمغماً :

ـ أنت جزء من هذه العائلة يا (طارق) .

صرخ (طارق) فى غضب :

ـ أنا ؟!. كلاّ أرجوك ، لا تزد من شعورى بالخزى والعار ..

ارتجفت شفتا (هاشم) ، وترقرقت الدموع فى عينيه وهو يقول :

ـ الخزى والعار ؟!

هتف (طارق) :

ـ نعم .. الخزى والعار .. إننى أرفض الانتماء إلى مثل هذه العائلة ، إننى أتبرأ منها .

انهار (هاشم) فوق مقعد قريب ..

انهار صلفه وغروره ، وهو يرى نفسه فى هذا الموقف أمام ولده الأكبر ..

انهار ودفن وجهه بين كفيه ، وقال فى صوت يشبه البكاء :

ـ لا تقل هذا يا ولدى ، لا تمزّق والدك هكذا بلا رحمة ..

تلاشت ثورة (طارق) دفعة واحدة، أمام ذلك الضعف المفاجئ ، الذى اعترى والده ..

عاد قلبه الطيب البار ينبض بحبّ هذا الوالد ، الذى مزّق حبه وآماله ..

عجيبة هى تلك العلاقة النادرة بين الآباء والأبناء ..

غريب هو ذلك الحبّ الرّبانى ، الذى لا يوازيه حبّ آخر فى الكون كله ..

لقد ارتجف قلب (طارق) لوعة ، حينما رأى سطوة أبيه تنهار أمامه ..

توقفت صرخات الاحتجاج والاستنكار فى أعماقه ...

نسى فى لحظة واحدة أن هذا الأب هو الذى حاربه ، وحارب حبه ..

نسى كل شىء إلا أنه والده ..

اقترب منه فى هدوء ، ثم ركع على ركبتيه أمام المقعد الذى يجلس عليه ..

امتدت يده تحيط بكف والده فى حنان ، وقادها إلى وجهه هو ..

توقف (هاشم) مبهوتاً ، وتعلقت عيناه بولده الأكبر فى تساؤل ..

وفى هدوء .. انحنى رأس (طارق) ، وقبّل كف والده ..

تفجّرت الدموع فجأة من عينى (هاشم) ..

دموع مشبعة بالحنان والحبّ والدفء ..

إنها المرة الأولى التى يذرف فيها (هاشم) الدمع فى حياته ..

المرة الأولى التى تنسال فيها على وجنتيه الدموع ..

ربما لأنها المرة الأولى التى يلمس فيها كل هذا الوفاء والحبّ ..

المرة الأولى التى يكتشف فيها أن القوة ليست هى المحرك الأول للحياة ، كما كان يظن ..

ترك كفه بين راحتى ولده ، وانحنى يقبّل جبينه ..

بللت دموعه وجه ابنه ، وهو يهمس :

ـ اغفر لى يا ولدى .

اختلطت دموع الأب بدموع ابنه ، وهو يغمغم :

ـ بل اغفر لى ثورتى يا أبتاه .

جفف (هاشم) دموعه ، وقال فى حزم :

ـ لقد كنت على حقّ يا ولدى .

ثم نهض من مقعده ، وقد تولاه حماس مفاجئ ، وقال :

ـ لابد من إصلاح الأمر ، هيّا يا (طارق) .. سأرافقك إلى مسكن (هويدا) .. سأشرح لها الأمر كله ، وأرجوها أن تغفر لى ، وأن تقبلك زوجاً لها .

لم يصدق (طارق) ما يسمعه ، فهتف فى سعادة :

ـ أحقًّا يا أبتاه ؟

ربّت (هاشم) على كتف ابنه فى حنان ، وداعب شعر رأسه ، وهو يقول فى طيبة وأبوة :

ـ هل عهدت والدك يعد بما لا يفعل يا بنىّ ؟

انحنى (طارق) مرة أخرى يقبل كف والده فى فرح وامتنان ..

وفى ركن الحجرة وقف (هانى) و (سمر) مشدوهين ..

لم يثر ذلك الموقف ذرّة واحدة من الحنان فى قلب (هانى) ..

لم يثر سوى الكراهية والبغضاء ..

رفضت طبيعته الشريرة أن تقبل الهزيمة ..

رفض أن يتراجع والده ، وينسحب من هذه المعركة القاسية ..

أبى غروره أن يحتل شقيقه تلك المكانة فى قلب والده ..

وانطلق عقله الشيطانى يبحث عن وسيلة جديدة للفوز ..

والشيطان دائماً يبحث عن أمثال هذا الشخص ..

لقد أسرع يوسوس له بفكرة شيطانية جديدة ..

فكرة قادرة على قلب الأمور رأساً على عقب ..

اختمرت الفكرة بسرعة فى رأس (هانى) ، فقال فى غضب :

ـ أنت ترتكب خطأ عنيفاً بذلك يا والدى .

استدار (هاشم) إلى ابنه الأكبر فى غضب ، وقال فى صرامة :

— فلتبقَ بعيداً عن هذا الأمر يا (هانى) .

عقد (هانى) حاجبيه ، ولوَّح بكفه فى غضب ، قائلا :

— من الخطإ أن أبقى بعيداً يا أبى .

ثم أمسك كتفى شقيقه ، وواجهه قائلا :

— هل تظن أننى فعلت كل ذلك لمجرَّد القضاء على فتاة لا يمكنها إيذائى ؟.. أنت مخطئٌ لو تصوَّرت ذلك ، لقد فعلت كل هذا من أجلك .

تطلع إليه (طارق) فى غضب ، وقال :

— ألن تكفَّ عن ألاعيبك ؟

هتف (هانى) ، وكأنه يدافع عن نفسه :

— إنها ليست ألاعيب يا شقيقى الوحيد ، لقد حاربت هذه الفتاة ؛ لأنها حقًّا تخدعك .

صاح (طارق) :

— كفى يا (هانى) .

ابتسم (هانى) فى سخرية ، وقال :

— أنت لا تصدقنى .. أليس كذلك ؟.. إن هذه الفتاة لم تكن تحبك .. لقد كانت تبحث عن الزواج من ابن المليونير (هاشم النقراشى) ، والدليل على ذلك أنها لم تكد تفقدك ، حتى بدأت تنسج شباكها حولى .

صرخ (طارق) :

— كفى يا (هانى) .

لم يتوقف (هانى) عن حديثه ، وهو يستطرد :

— ألا تصدقنى ؟.. حسناً .. إنها تنتظرنى فى منزلها عند منتصف الليل .. هل تفعل فتاة شريفة ذلك ؟

شحب وجه (طارق) ، وهو يغمغم :

— أنت كاذب .

أطلق (هانى) ضحكة قصيرة ، وقال :

— دعنا نؤكد ذلك .. ارتد أنت ملابسى ، وقُدْ سيارتى إلى منزلها ، وتظاهر أنك أنا ، وستتأكد من صدق قولى .

ساد صمت شاحب ثقيل بعض الوقت ، ثم غمغم (طارق) فى صرامة :

ـ سأفعل يا (هانى) ، سأفعل لأثبت لك أنها إنسانة شريفة ، وأنك أنت الكاذب الحقير .

أطلق (هانى) ضحكة أخرى ، وبرقت عينـاه فى سادية وهو يقول :

ـ سنرى .

* * *



١٢ ـ اللقـــاء ..

تطلعت (هويدا) إلى ساعتها ، ورأتها تشير إلى الحادية عشرة والنصـف قبل منتصف الليل ، فألقت نظـرة من نافذة منزلها ، تتأكد من وجود رجال الشرطة المرابطين حول المكان ، ثم ابتسمت فى فخر ..

لقد أعدت خطة انتقامها على نحو متكامل أنيق ..

سيرقب رجال الشرطة (هانى) عند قدومه ، ولكنهم سيتركونه يصعد إليهـا ، على أن يسرعوا إلى المنزل بعـد نصـف ساعـة بالضبط ، لضبطه متلبساً بحيـازة حقيبـة المخدرات ..

ستكون فضيحة تهتز لها كل الأوساط فى مصر ، من أقصاها إلى أقصاها ..

سيلقى بابن (هاشم النقراشى) فى السجن ..

ستحطم الفضيحة والده ..

ستقضى على نفوذ عائلته فى مصر تماماً ..

سيدفع ثمن دم شقيقها ، الذى أهدره ابنه فى استهتار وحماقة ..

تنهدت فى ارتياح ، وهى تمسح دمعة فرّت إلى وجنتها، ثم رفعت رأسها تتأمل صورة شقيقها الكبيرة ، التى تزين الحائط الأمامى لردهة المنزل ، وغمغمت فى كراهية :

- سيدفعون الثمن يا (محمد) ...

كان عليها الآن إعداد ما يلزم ، لتوريط (هانى) فى التهمة تماماً ..

لفّت يدها بمنديل كبير ، وحملت الحقيبة الصغيرة إلى باب شقتها ، وواربته قليلا ، ثم وضعت الحقيبة إلى جواره تماماً ، وتراجعت تلقى نظرة على نتاج عملها ..

كانت الحقيبة فى موضع يضطر من يفتح الباب إلى حملها ، وترك بصماته واضحة على مقبضها ..

كان من المذهل أن يتفتق عقل هادئ كعقلها عن خطة جهنمية كهذه ، ولكن الانتقام يبعث فى المرء قدرات لا يتصوّرها فى نفسه عادة ..

استرخت فى مقعد قريب للباب ،وراح ذهنها يسترجع كل الأحداث منذ مصرع شقيقها ..

قفزت إلى ذهنها فجأة تفاصيل ذلك اللقاء الدافئ مع (طارق) ، فى ذلك المطعم الفاخر ..

تسللت إلى شفتيها ابتسامة حانية، وهى تسترجع كلماته الحانية ، ولمساته الدافئة ..

أغمضت عينيها وهى تسبح مع حبه وعطفه ..

وفجأة تشوّهت الصورة أمامها ..

اختلط مشهد الحبّ الذى عاشته ليوم واحد، مع مشهد مصرع شقيقها ..

اختلطت كلمات (طارق) مع بوق السيارة المندفعة وصراخ شقيقها ..

امتزجت وعود (طارق) الحانية بصوت (سمر)، وهى تسألها رأيها فى دعوة الزفاف ..

تداخلت الصور والكلمات فى رأسها ، حتى أنها أخفت وجهها بين كفيها ، وهتفت فى ألم :

- كلاّ .. لن يخدعونى بعد الآن .. سأنتقم ..

ورفعت عينين مبللتين بالدموع إلى صورة شقيقها الراحل ، وكرّرت :

- سأنتقم .

صك أذنيها فجأة صوت سيارة تتوقف أمام منزلها ..

ارتجف قلبها وهى تلقى نظرة على ساعتها ..

إنها الثانية عشرة تماماً ..

لقد حانت لحظة الانتقام ..

أسرعت إلى النافذة، وألقت نظرة على السيارة الفارهة الفخمة ، ثم قلبت شفتيها كراهية وامتعاضاً ..

كانت نفس السيارة التى صدمت شقيقها ..

يا للوقاحة !!

أبلغ الاستهتار بهذا الحقير أن يحضر لزيارتها، فى نفس السيارة التى قتلت شقيقها ..

لمحته وهو يغادر السيارة فى ضوء الشارع الخافت ، فرفعت كفها إلى رأسها فى إشارة متفق عليها ، تعنى أنه الشخص المطلوب ..

إشارة فهمها رجال الشرطة الملتفون حول المكان ..

ولكنهم لم يتحركوا من أماكنهم ..

تركوه يصعد إليها ، وأسرعت هى تتأكد من وضع الحقيبة الصغيرة أمام الباب، ثم جلست فوق المقعد المقابل له ، وجسدها ينتفض انفعالا، وضربات قلبها تكاد تبلغ الذروة..

تسارعت ضربات قلبها، وهى تسمع وقع خطواته على درجات السلم ..

وصل انفعالها وتوترها إلى قمتهما ، حينما شاهدت ظله خلف زجاج الباب ، وسمعت طرقاته الهادئة ، حتى أن صوتها خرج مبحوحاً متحشرجاً ، وهى تقول:

— ادخل أيها الطارق .. الباب مفتوح .

ارتجف جسدها حينما دفع الباب فى رفق ، وهبط قلبها بين ضلوعها ، عندما انتبه إلى الحقيبة ، ورأت يده تعبر من فرجة الباب ، وتحمل الحقيبة بعيداً ..

كادت تصرخ ، فرحاً لنجاح هذا الجزء من خطتها..

كادت تصرخ، لولا أن عبر صاحب اليد إلى الداخل، وهو يحمل الحقيبة ..

احتبست صرختها فى أعماقها ، وتراجعت فى ذهول لهذه المفاجأة التى لم تكن تتوقعها ، وهتفت :

— (طارق) ؟!

وضع (طارق) الحقيبة فوق قطعة أثاث قريبة ، وسألها فى غضب :

— هل كنت تنتظرين زائراً آخر ؟

حدقت فى وجهه بذهول دقيقة كاملة ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

ما الذى أتى به فى هذه اللحظة بالذات ؟..
أين ذهب شقيقه القاتل ؟..
دار السؤالان فى رأسها بسرعة ، ثم عادت خيانته تملأ كيانها ، فقالت فى حنق :
– إننى لم أكن أنتظر أحداً ، ثم إن هذا منزلى ، ولى حق استقبال أى كائن به .
سألها فى غضب :
– حتى (هانى) ؟!
مرة أخرى حدقت فى وجهه بذهول ، ثم أسرعت تتماسك وتقول :
– إننى أستقبل من أشاء .
هتف فى غضب :
– أيتها الخائنة .
امتلأ قلبها بالغضب والحنق ..
أهو الذى يتحدث عن الخيانة ، بعد أن باعها من أجل شقراء عابثة ؟..
أهو الذى يتحدث عن الخيانة ، بعد أن مزقتها خيانته ؟.
صرخت فى وجهه بغضب :

– لا تتحدث عن الخيانة .. لا تتحدث عن علم أنت أستاذه .
نظر إليها فى دهشة ، ثم قال :
– أستاذه ؟!.. إننى على الأقل لا أستقبل أحبائى فى منزلى فى منتصف الليل .
سألته فى استنكار :
– أحباؤك .. من تعنى ؟
قال فى حنق :
– إن كنت قد قررت أن توقعى (هانى) فى حبائلك، فمن العار أن تطلبى منه الحضور إلى منزلك فى منتصف الليل .
التهبت أعصابها بالغضب ، فصاحت :
– من تتصورنى ؟.. أنا أحبُّ (هانى) ؟!..
صاح :
– لقد دعوته إلى هنا .. أليس كذلك ؟
صرخت وقد نفد صبرها :
– نعم .. دعوته إلى هنا .. دعوته ؛ لأننى أكرهه .. أكرهه كلَّ الكراهية التى قد لا تتصوَّرُها .

بلغ منها الانفعال مبلغه ، فأجهشت فجأة بالبكاء ..

انتفض جسدها مع نحيبها ، وهى تقول :

– أردت أن أدفعه للابتعاد عن طريق .. أردت أن أنتقم منه .

أثار بكاؤها الحنين والعطف فى قلبه ، فاقترب منها وربّت على كتفيها ، قائلا :

– يا للمسكينة !! لقد عانيت كثيراً .

ابتعدت عنه فى حدة أدهشته ، وهى تصرخ :

– ابتعد عنى .. ألا تكفيك زوجتك المقبلة (سمر) :

حدّق فى وجهها بدهشة ، ثم لم يلبث أن تذكر ، فضحك وهو يقول :

– معذرة ياحبيبتى .. لقد نسيت أن أفسر لك الأمر الذى أتيت من أجله .

قال عبارته هذه ، وناولها بطاقة الدعوة الزائفة التى تحمل اسمها ، ولم تكد هى تطالع الكلمات المصفوفة فوقها ، حتى عاد الذهول يكتنفها وهى تهتف :

– ما هذا العبث ؟.. هذه البطاقة زائفة .

ناولها البطاقة الأخرى ، وهو يقول فى حنان :

– وهذه أيضاً .

هتفت (هويدا) فى شرود ودهشة :

– ماذا يعنى هذا ؟

قادها من يدها فى رفق إلى الأريكة ، وجلس إلى جوارها قائلا :

– سأشرح لك كل شىء يا حبيبتى ، سأشرح لك كيف كادت خدعة شيطانية تحطم حبنا .

أحاط كتفها بذراعه فى حنو ، وأخذ يقص عليها الأمر بأكمله ، وهى تستمع إليه فى ذهول ، حتى انتهى من روايته ، فسالت من عينيها دموع غزيرة ،وهى تقول :

– أنت ما زلت تحبنى إذن .

همس فى أذنها بحب :

– نعم يا أحب مخلوقات الله – سبحانه وتعالى – إلى قلبى .. لقد أتيت إليك اليوم أسألك الموافقة على أن تصبحى زوجتى .

رقص قلبها طرباً ..

تهد جسدها ارتياحاً ..
أشرقت شمس الأمل فى نفسها ..
أضاء الحبّ فى أعماقها ..
سالت دموع الفرح من عينيها صامتة ، وهى تلتهمه بعينيها فى سعادة ..
هل حانت نهاية آلامها ؟..
هل آن لعذاب عمرها أن ينقضى ؟..
هل انتهى مشوار الحيرة والعذاب ؟..
مال (طارق) على أذنها ، واحتوى كفها الرقيقة فى راحته ، وألصقها بقلبه ، وهو يهمس فى حبٌ وحنان :
– إننى لم أسمع إجابتك بعد .. هل تقبليننى زوجاً ؟.
أرادت أن تصرخ بالموافقة ، ولكنها لم تفعل ..
وصل إلى مسامعها فى تلك اللحظة صوت أقدام تندفع ، صاعدة فى سلم منزلها ..
تذكرت تلك الخطة الجهنمية التى أعدتها للإيقاع بـ (هانى) ..
ملأها الرعب ، حينما تذكرت أنها لم تخبر ضابط

الشرطة الشاب اسم ابن (هاشم النقراشى) ، الذى يتجر فى المخدرات ..
صرخت فى فزع ، وهى تحدّق فى رعب فى تلك الحقيبة التى تحمل بصمات حبيبها ..
كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرةَ والنصف تماماً ، وتعلقت هى بذراع (طارق) ، وهتفت فى ذعر وتوسل :
– اهرب يا (طارق) .. أرجوك .. اهرب من هذا المكان .

* * *



١٣ - يا قلب لا تغفر ..

لم يفهم (طارق) ما تعنيه (هويدا) فى البداية ..

نظر إلى عينيها ، وسألها فى دهشة :

- أهرب من هنا ؟!.. ماذا تعنين يا حبيبتى ؟

عذبتها كلمة (حبيبتى) هذه ...

كيف يدعوها حبيبته ، وهى التى دبرت لتدمير عائلته ؟..

كيف يدعوها بذلك ، وهى التى تدفعه إلى السجن دون أن تدرى؟..

لم يفهم (طارق) ما تعنيه ، حتى بعد اندفاع رجال الشرطة إلى الشقة ، وإحاطتهم به ..

صرخت هى فى فزع ، ولكنه لم يفهم ..

لم يفهم إلا عندما اندفعت نحو ضابط الشرطة الشاب ، وتعلقت بذراعه صارخة :

- إنه لم يفعل شيئاً .. لم يفعل شيئاً .. أقسم لك .. أنا التى دبرت كل هذا .

ربّت الضابط الشاب على كتفها ، وقال فى هدوء:

- لا تخشى شيئاً يا آنسة (هويدا) ، لقد أمسكنا به .. ولن يمكنه إصابتك بسوء .

حدّقت فى وجه الضابط فى فزع ..

إنه لم يفهمها ..

إنه يظنّ أن مبعث ذعرها ، هو خوفها من انتقام (هاشم النقراشى) ..

إنه لم يفهمها ..

رفع أحد رجال الشرطة الحقيبة الصغيرة فى حرص ، وأودعها حقيبة من البلاستيك ، وهو يقول :

- لا ريب أننا سنجد بصماته واضحة على مقبض الحقيبة .

اتسعت عينا (طارق) وقد فهم كل شىء ..

فهم الفخ الذى أعدته (هويدا) [illegible] ، والذى ذهب هو ضحيته ..

أدار عينيه إلى عينيها فى استسلام وعتاب وإحباط ..

ملأها الذعر من مشهد عينيه ..

صرخت وهى تتشبث بالضابط الشاب :

- أقسم لكم أننى التى دبرت كل هذا .. إنه برىء.

ابتسم الضابط الشاب فى إشفاق ..

كان يظن خوفها من سطوة (هاشم النقراشى) ، وقوته هو مبعث تراجعها ..

لقد كان يتوقع هذا بحكم خبرته السابقة ..

كثير من الناس يفقدون حماسهم فجأة ، حينما يواجهون الخطر وجهاً لوجه ..

ولكنه كان يعلم أن تراجعها لم يعد يعنى شيئاً ..

لقد ألقوا القبض عليه متلبساً ، ولديهم حقيبة المخدرات ، وبصماته على مقبضها ..

لديهم ما يكفى لتقديمه إلى المحاكمة ..

تراجعها بسبب الخوف لم يعد يجدى ..

استدار الشاب يتأمل (طارق) ، الذى أحيط معصماه بالأغلال ، وشعر الضابط الشاب بالارتياح ..

ها هو ذا دليل جديد ..

إن المتهم لم يحاول حتى الدفاع عن نفسه ..

إنه لا يستطيع درء التهمة بعد أن ضبط متلبساً ..

و (طارق) لم يحاول الدفاع عن نفسه حقاً ...

تركهم يلقون القبض عليه ، ويحيطون معصميه

بالأغلال ، وهو شارد عنهم ، يحدّق فى وجه (هويدا) ، وعينيها الملتاعتين ..

آلمه أنها سعت إلى الانتقام ، فى الوقت الذى سعى هو فيه لحبها ..

عذبه أنه سعى لأمنها وسعادتها ، وهى سعت لتدمير عائلته ..

ولكن قلبه الملائكى التمس لها العذر ..

شعر أنها بائسة مسكينة ، فقدت كل شىء ، فحاربت الدنيا ..

من العجيب أنه لم يشعر نحوها بالحقد أو الكراهية ..

بل شعر بالشفقة والعطف ..

اصطحبه رجال الشرطة إلى الخارج ، فتعلقت هى بذراعه ، وصرخت :

ــ لن يأخذوك يا (طارق) .. أنا المسئولة .

أزاحها رجال الشرطة بعيداً فى رفق ، وأدار هو وجهه إليها ، والتقت نظراتهما ..

تصلبت أطرافها مع تلك النظرة المطلة من عينيه الزرقاوين ..

دار بين عيونهما حوار صامت ، لم يدركه غيرهما :

– هل تشعرين الآن بالأمان والراحة ؟
– بل أشعر بالندم والضياع .
– هل رأيت ما يفعله الانتقام بصاحبه ؟
– أرجوك .. أنت تعذبنى .
– انتقامك هو الذى يعذبك .
– أراهن أنك تكرهنى .
اقتربت منه عند هذه النقطة ، وكأنها تريد أن تسمع إجابته ..
ومن العجيب أنه كان يشعر بذلك ..
ومن الأعجب أنه همس :
– أحبك يا (هويدا) .
تراجعت وهى تترنح ، كأنما تلقت لكمة ساحقة ..
تهاوت فوق الأريكة ، وجلست كالمفلوجة ، ترقب رجال الشرطة وهم يأخذونه بعيداً ..
كيف أمكنه أن ينطق الكلمة ؟..
هل يوجد حقـاً قلب يمتلىء بالعفو والتسامح والحنان فى هذا العصر القاسى ؟..
ودّت لو أنه بصق فى وجهها ..

لو أنه صفعها ، أو نعتها بالخسة والخيانة ..
ولكن تلك الكلمة الناعمة ، التى انسابت حانية من بين شفتيه مزقتها تمزيقاً ..
ابتعدت أصوات رجال الشرطة ..
ابتعدت .. وابتعدت .. وابتعدت ..
انطلق صوت بوق سيارة الشرطة ، وهى تذهب به بعيداً.
شعرت (هويدا) بصوت يهمس فى أعماقها :
– لن أغفر لنفسى أبداً ..
تصاعد الهمس حتى بلغ شفتيها ، وهى تغمغم فى ذهول :
– يا قلب لا تغفر لى خطيئتى فى حقه ..
وفجأة تفجر الهمس من حلقها ..
انبعثت من فمها صرخة ارتج لها كيانها ..
صرخة تردد صداها فى الحى كله ..
صرخة تحمل كل ندمها وألمها ولوعتها ..
صرخة تطلق كلمة واحدة :
– لا .

* * *

[تمت بحمد الله]

زهور
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



د. نبيل فاروق

٦

يا قلب لا تغفر

فقدت (هويدا) شقيقها في حادث
سيارة ، ويتضح أن قائد السيارة من
الشخصيات البارزة كما يعاونه على استئجار
شخص يعترف بالحادث زورا .. وتصر (هويدا)
على الانتقام من القاتل الحقيقي ، ولكنها تقع في حب
شقيقه (طارق) ، وهنا يبرز صراع قوي في
أعماقها .. أتغفر لقاتل شقيقها من أجل
حبها ؟.. أم تسعى للانتقام ، وتأمر قلبها
ألا يغفر ؟.. أتختار الحب أم الانتقام ؟

الثمن في مصر [illegible]
وما يعادل دولارا أمريكيا في سا[illegible] العالم